أمثال المسيح

د. القس منيس عبد النور

الجزء الثاني
امتيازات أبناء ملكوت الله

الفهرس

هذا الكتاب
مقدمة
لماذا علَّم المسيح بأمثال؟
كيف نفسِّر الأمثال؟

الجزء الأول: طبيعة ملكوت الله

1- الملكوت انتقال إلى حالة جديدة

(أ) الملكوت حياة جديدة: مثلاً الرُّقعة، والزِّقاق
مناسبة رواية المثلين
سؤالان وجواب المسيح عليهما
لماذا يصوم الفريسيون؟
لماذا يصوم تلاميذ يوحنا؟
لماذا لا يصوم تلاميذ المسيح؟
متى يصوم تلاميذ المسيح؟
أولاً: الحاجة إلى خَلْقٍ جديد
ثانياً: الحاجة إلى تعليم جديد
ثالثاً: جاء المسيح بالخَلْق والتعليم الجديدين
(ب) الملكوت تعليم جديد: مَثَل الكاتب المتعلم
أولاً: صفات الكاتب المتعلم
ثانياً: عمل الكاتب المتعلم
(جـ) دعوتان واستجابتان: مَثَل الأولاد الذين يلعبون في السوق
أولاً: دعوتان
ثانياً: استجابتان

2- تشبيهات لملكوت الله

(أ) أراضي الملكوت: مَثَل الزارع
أولاً: البذور التي سقطت على الطريق. البذور المسروقة
ثانياً: البذور التي سقطت على الحجر. البذور العطشانة
ثالثاً: البذور التي سقطت على الشوك. البذور المخنوقة
رابعاً: البذور التي سقطت على الأرض الجيدة. البذور المثمرة
(ب) أعداء الملكوت: مثلا الزوان وسط الحنطة، والشَّبكة في البحر
أولاً: وجود الجيد والرديء
ثانياً: ماذا يُفعل بالزرع الرديء؟
ثالثاً: مصير الحنطة ومصير الزوان.

(جـ) نمو الملكوت: مثل البذور التي تنمو سراً

أولاً: الله والإنسان يعملان معاً

ثانياً: الله يعمل في صمت

ثالثاً: الله يعمل بتأنٍّ

رابعاً: الله يبدأ عمله ويكمله

(د) قوة الملكوت: مثلا حبة الخردل، والخميرة.

أولاً: بداية الملكوت سماوية

ثانياً: بداية الملكوت صغيرة

ثالثاً: بداية الملكوت هادئة

رابعاً: بداية الملكوت فعَّالة

(هـ) عظمة قيمة الملكوت: مثلا الكنز المخفَى، واللؤلؤة الثمينة

أولاً: الذين يطلبهم المسيح

ثانياً: الذين يطلبون المسيح

3- الآب يطلب أبناء لملكوته

(أ) التفتيش عن الضال: مثلا الخروف الضائع، والدرهم المفقود

أولاً: الضياع المؤلم

ثانياً: التفتيش الجاد

ثالثاً: حفل الابتهاج

(ب) انتظار عودة الضال: مثلا الابنين الأكبر، والأصغر

أولاً: الضال

ثانياً: الابن الأكبر

ثالثاً: الأب

الجزء الثاني: امتيازات أبناء ملكوت الله

1- امتياز غفران الخطايا: مَثل المديونَين

مناسبة رواية المثل

أولاً: كلنا مديونون

ثانياً: الخدمة تعبير عن المحبة

2- امتياز سكنى المسيح: مَثل البيت العامر بالمسيح

مناسبة رواية المثل

ماذا قصد المسيح بهذا المثل؟

أولاً: إخلاء البيت ثم تسكينه

ثانياً: الحذر من عودة الساكن الأول

ثالثاً: بقاء المالك الجيد

3- امتياز الحياة ذات التحدِّيات: مثلا البرج المُكمّل، والملك المستعد للحرب

أولاً: هدفنا أن نبني وننتصر

ثانياً: يجب أن نحسب التكلفة

ثالثاً: نصائح أساسية للبناء

4- امتياز الحكمة: مثَل البناء الحكيم

أولاً: أساسان وبِناءان

ثانياً: امتحان حتمي

ثالثاً: نتيجتان

5- امتياز الثمر: مَثل شجرة التين

مناسبة رواية المثل

لماذا اشتكوا للمسيح؟

أولاً: مع كل امتياز مسئولية

ثانياً: يمنحنا الله فرصة ثانية

6- امتياز الصلاة: مثلا صديق نصف الليل، والأرملة المُلحَّة

أولاً: احتياج شديد

ثانياً: طلب بلجاجة

ثالثاً: استجابة مفرحة

تأخير استجابة الصلاة

7- امتياز الفرح: مَثل العشاء العظيم

مناسبة رواية المثل

أولاً: ملكوت الله وليمة

ثانياً: الذين يرفضون الوليمة

ثالثاً: الذي يدعو للوليمة

8- امتياز المجازاة

(أ) المجازاة للجميع: مَثل العاملين في ساعات مختلفة

مناسبة رواية المثل

أولاً: كل من يدعو الرب يخلُص

ثانياً: تحذير من التذمُّر

ثالثاً: تحذير من الكسل

(ب) المجازاة للساهرين: مَثل العذارى الحكيمات

مناسبة رواية المثل

أولاً: أفراح ملكوت الله

ثانياً: المسيح آتٍ ثانية

ثالثاً: حاضرنا يحدِّد مستقبلنا

(جـ) المجازاة للعاملين: مثل الوزنات

مناسبة رواية المثل

أولاً: كلنا وكلاء

ثانياً: العاملون

ثالثاً: الخاملون

الجزء الثالث: مسؤوليات أبناء ملكوت الله

1- ضرورة العمل

(أ) العمل واجب: مَثَل العبد العامل

أولاً: أنت عبدٌ للرب

ثانياً: خدمة الملكوت مكلِّفة

ثالثاً: خدمة الملكوت واجب

(ب) الجميع يعملون: مَثَل السامري الصالح

أولاً: الذين سلبهم الآخرون

ثانياً: الذين يسلبون الآخرين

ثالثاً: الذين يحافظون على مالهم

رابعاً: الذين يساعدون غيرهم

خامساً: دروس من المثل

(جـ) الأبناء يعملون: مَثَل الابنين

أولاً: التكليف الإلهي

ثانياً: عصيان بالقول لا بالعمل

ثالثاً: طاعة بالقول لا بالعمل

(د) العاملون يعملون: مثَل الكرامين الأردياء

أولاً: صاحب الكرم

ثانياً: الكرامون

2- ضرورة التواضع

(أ) تواضع الاعتراف: مثَل الفريسي والعشار

أولاً: صلاة من يرفع نفسه

ثانياً: صلاة من يضع نفسه

(ب) تواضع السلوك: مثَل المتكأ الأخير

أولاً: مساوئ رفع النفس

ثانياً: بركات وضع النفس

3- ضرورة الغفران: مثَل العبد الذي لم يرحم

مناسبة رواية المثل

أولاً: إفلاسنا الروحي

ثانياً: عظمة المراحم الإلهية

ثالثاً: ضرورة الرحمة

4- ضرورة الأمانة

(أ) الأمانة للنفس: مثَل الغني الغبي

مناسبة رواية المثل

أولاً: إنسان غني

ثانياً: إنسان غبي

(ب) الأمانة للرؤساء: مثَل الوكيل الظالم

أولاً: أهمية الحكمة

ثانياً: أهمية المال

ثالثاً: أهمية الأمانة

رابعاً: أهمية القلب الموحَّد

(جـ) الأمانة للمحتاجين: مثَل الغني ولعاز

مناسبة رواية المثل

أولاً: شخصان في هذا العالم

ثانياً: شخصان في العالم الآخر

1 – امتياز غفران الخطايا
مثل المديونَين

«36 وَسَأَلَهُ وَاحِدٌ مِنَ الْفَرِّيسِيِّينَ أَنْ يَأْكُلَ مَعَهُ، فَدَخَلَ بَيْتَ الْفَرِّيسِيِّ وَاتَّكَأَ. 37 وَإِذَا امْرَأَةٌ فِي الْمَدِينَةِ كَانَتْ خَاطِئَةً، إِذْ عَلِمَتْ أَنَّهُ مُتَّكِئٌ فِي بَيْتِ الْفَرِّيسِيِّ، جَاءَتْ بِقَارُورَةِ طِيبٍ 38 وَوَقَفَتْ عِنْدَ قَدَمَيْهِ مِنْ وَرَائِهِ بَاكِيَةً، وَابْتَدَأَتْ تَبُلُّ قَدَمَيْهِ بِالدُّمُوعِ، وَكَانَتْ تَمْسَحُهُمَا بِشَعْرِ رَأْسِهَا، وَتُقَبِّلُ قَدَمَيْهِ وَتَدْهَنُهُمَا بِالطِّيبِ. 39 فَلَمَّا رَأَى الْفَرِّيسِيُّ الَّذِي دَعَاهُ ذَلِكَ، قَالَ فِي نَفْسِهِ: «لَوْ كَانَ هَذَا نَبِيّاً لَعَلِمَ مَنْ هَذِهِ الْمَرْأَةُ الَّتِي تَلْمِسُهُ، وَمَا هِيَ! إِنَّهَا خَاطِئَةٌ». 40 فَقَالَ يَسُوعُ: «يَا سِمْعَانُ، عِنْدِي شَيْءٌ أَقُولُهُ لَكَ». فَقَالَ: «قُلْ يَا مُعَلِّمُ». 41 «كَانَ لِمُدَايِنٍ مَدْيُونَانِ. عَلَى الْوَاحِدِ خَمْسُ مِئَةِ دِينَارٍ وَعَلَى الآخَرِ خَمْسُونَ. 42 وَإِذْ لَمْ يَكُنْ لَهُمَا مَا يُوفِيَانِ سَامَحَهُمَا جَمِيعاً. فَقُلْ: أَيُّهُمَا يَكُونُ أَكْثَرَ حُبّاً لَهُ؟» 43 فَأَجَابَ سِمْعَانُ: «أَظُنُّ الَّذِي سَامَحَهُ بِالأَكْثَرِ». فَقَالَ لَهُ: «بِالصَّوَابِ حَكَمْتَ». 44 ثُمَّ الْتَفَتَ إِلَى الْمَرْأَةِ وَقَالَ لِسِمْعَانَ: «أَتَنْظُرُ هَذِهِ الْمَرْأَةَ؟ إِنِّي دَخَلْتُ بَيْتَكَ، وَمَاءً لأَجْلِ رِجْلَيَّ لَمْ تُعْطِ. وَأَمَّا هِيَ فَقَدْ غَسَلَتْ رِجْلَيَّ بِالدُّمُوعِ وَمَسَحَتْهُمَا بِشَعْرِ رَأْسِهَا. 45 قُبْلَةً لَمْ تُقَبِّلْنِي، وَأَمَّا هِيَ فَمُنْذُ دَخَلْتُ لَمْ تَكُفَّ عَنْ تَقْبِيلِ رِجْلَيَّ. 46 بِزَيْتٍ لَمْ تَدْهُنْ رَأْسِي، وَأَمَّا هِيَ فَقَدْ دَهَنَتْ بِالطِّيبِ رِجْلَيَّ. 47 مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ أَقُولُ لَكَ: قَدْ غُفِرَتْ خَطَايَاهَا الْكَثِيرَةُ لأَنَّهَا أَحَبَّتْ كَثِيراً. وَالَّذِي يُغْفَرُ لَهُ قَلِيلٌ يُحِبُّ قَلِيلاً». 48 ثُمَّ قَالَ لَهَا: «مَغْفُورَةٌ لَكِ خَطَايَاكِ». 49 فَابْتَدَأَ الْمُتَّكِئُونَ مَعَهُ يَقُولُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ: «مَنْ هَذَا الَّذِي يَغْفِرُ خَطَايَا أَيْضاً؟». 50 فَقَالَ لِلْمَرْأَةِ: «إِيمَانُكِ قَدْ خَلَّصَكِ! اذْهَبِي بِسَلاَمٍ» (لوقا 7: 36–50).

مناسبة رواية المثَل:

اعتاد أغنياء اليهود أن يقيموا ولائم يلتقي فيها الأهل والأصدقاء. وفي الصيف كانوا يقيمون الوليمة في فناء البيت، فيخلعون نعالهم، ويتكئون على مرافقهم اليسرى، ويمدّون أرجلهم إلى الخلف، ويتناولون الطعام بأيديهم اليمنى. وكان أصحاب البيت يسمحون للعامَّة بالدخول إلى مكان الوليمة، ويضعون لهم حشايا يجلسون عليها متكئين على الحوائط، ليشاهدوا مشاهير القوم، ويروا عظمة المضيف وغناه وكرمه الواضح في الطعام الكثير الشهي، وليستمعوا للأحاديث التي تدور حول المائدة. وكان للعامة حق الحديث مع الضيوف، ولو أنه لم يكن مسموحاً لهم أن يتناولوا الطعام معهم.

وذات يوم دعا فريسيٌّ غنيٌّ اسمه «سمعان» السيدَ المسيح إلى وليمة. ولعل سمعان طلب من المسيح أن يلقي كلمة، فتحدَّث عن ضرورة التوبة. وسمعته امرأةٌ خاطئة من العامَّة كانت قد دخلت إلى البيت، فعزمت أن تتوب، وأن تعبِّر عن ذلك علناً.. وكان واجب الضيافة الأساسي أن يُقبِّل الضيف ضيفه ليعبِّر عن الترحيب به، كما كان يعطي ماءً لغسل رجليه لأنهم كانوا يلبسون صنادل مفتوحة فتتَّسخ أقدامهم أثناء السير في الطرق الترابيَّة. وكلما كان الضيف عزيزاً صبَّ المضيف على رأسه زيتاً عطراً تملأ رائحته أرجاء المكان. ولم يكن سمعان الفريسي قد فعل للمسيح شيئاً من هذا، فلا هو قبَّل ضيفه، ولا أعطى ماءً لغسل رجليه، ولا صبَّ على رأسه عطوراً.. فقامت المرأة الخاطئة بهذا الواجب بمحبة وتلقائية أعظم مما كان يجب على «سمعان» أن يفعله، وبصورة فاقت كل ما تخيَّله الحاضرون.

كانت المرأة اليهودية عادةً تضع حول رقبتها قارورة طيب لتستخدمها في المناسبات العظيمة. وكانت لا تحل شعرها أمام الغرباء أبداً. إلا أن هذه الخاطئة غسلت قدمي المسيح بدموعها التي ذرفتها من قلب تائب نادم

على خطيتها، وحلَّت شعرها، تاج جمالها، ومسحتهما به، وهي تقبّلهما وتدهنهما بالطيب. فما أعظم الفرق بين سمعان وبين المرأة الخاطئة! هو لم يعطِ ماءً لغسل رجلي المسيح، فسكبت هي دموع توبتها عليهما. هو لم يقبّل وجه المسيح، أما هي فقبّلت قدميه. هو لم يدهن رأس المسيح بأي عطور، أما هي فطيَّبت قدميه. ولم يحس هو أنه خاطئ، أما هي فأحسَّت بخطاياها. واحتقر هو المسيح في نفسه، كما احتقر المرأة الخاطئة، فقال: «لَوْ كَانَ هَذَا نَبِيّاً لَعَلِمَ مَنْ هَذِهِ الْمَرْأَةُ الَّتِي تَلْمِسُهُ، وَمَا هِيَ! إِنَّهَا خَاطِئَةٌ» (آية 39).

ولما كان المسيح هو النبي والمخلِّص عرف ما يدور بخاطر سمعان، وأجابه بمحبة، وضرب له مثَل المديونَيْن، فقال: «كَانَ لِمُدَايِنٍ مَدْيُونَانِ. عَلَى الْوَاحِدِ خَمْسُ مِئَةِ دِينَارٍ وَعَلَى الآخَرِ خَمْسُونَ (الدينار كان أجر عامل في اليوم). وعجز المديونان عن وفاء الدين، فسامح المداين المديونين. وسأل المسيحُ سمعانَ: «أَيُّهُمَا يَكُونُ أَكْثَرَ حُبّاً لَهُ؟» فَأَجَابَ سِمْعَانُ: «أَظُنُّ الَّذِي سَامَحَهُ بِالأَكْثَرِ». فَقَالَ لَهُ: «بِالصَّوَابِ حَكَمْتَ».

والمعنى الواضح أن المداين هو الرب، والمديونَيْن هما سمعان الفريسي والمرأة الخاطئة.. سمعان يظن أن دَيْنه صغير، أما المرأة الخاطئة فهي تعلم أنها مديونة ديناً كبيراً. وعندما يسامح الله المديون بالكثير لا بد أنه سيحبُّه أكثر مما يحبُّه صاحب الدَّين القليل.

حادثتان متشابهتان: وردت في الإنجيل قصتان عن امرأتين سكبتا الطيب على المسيح: إحداهما ورد ذكرها في إنجيلي متى 26 ومرقس 14، والأخرى في لوقا 7. ويروي لوقا 7 حادثة جرت في الجليل، في بداية خدمة المسيح الجهارية، في بيت سمعان الفريسي.. أما في متى 26 ومرقس 14 فقد جرت الحادثة في بيت سمعان الأبرص في قرية بيت عنيا بولاية اليهودية، في نهاية خدمة المسيح الجهارية. ويلتبس الأمر على القارئ لأن اسم المرأة غير مذكور في القصتين ، ولأن اسم المضيف في القصتين هو سمعان، ولو أن سمعان الأول فريسي، وسمعان الآخر سمعان الأبرص (والأغلب أنه كان مريضاً بالبرص، فشفاه المسيح).

ونتعلم من هذا المثل درسين عظيمين:

أولاً – كلنا مديونون

كل خطية دَيْن يؤرق صاحبه ويُذلّه.. ولو أن بعض الناس ينظرون إلى الخطية باستخفاف، وكأنها شيء بسيط. ويقول البعض الآخر إن هناك خطية كبيرة وأخرى صغيرة، كما يقولون إن هناك كذباً أبيض وكذباً أسود. لكن كلمة الله تقول إن كل خطية دَيْنٌ ثقيل يَجْلب غضب الله. فإذا تصوَّرنا الوصايا العشر كسلسلة من عشر حلقات، طرفها الأول مثبَّت في السماء، والإنسان يمسك بالطرف الآخر، فإنه يكون في أمان طالما كان متَّصلاً بالسماء بالسلسلة المتكاملة الحلقات. ولكن لو كسر الإنسان أية حلقة في السلسلة فإنه يسقط منفصلاً عن السماء. وهذا ما أوضحه الرسول يعقوب بقوله: «لأَنَّ مَنْ حَفِظَ كُلَّ النَّامُوسِ، وَإِنَّمَا عَثَرَ فِي وَاحِدَةٍ، فَقَدْ صَارَ مُجْرِماً فِي الْكُلِّ» (يعقوب 2: 10).

وكل خاطئ مديون عاجز عن سداد الدين، لأنه «لَيْسَ مَنْ يَعْمَلُ صَلاحاً. اَلرَّبُّ مِنَ السَّمَاءِ أَشْرَفَ عَلَى بَنِي الْبَشَرِ، لِيَنْظُرَ: هَلْ مِنْ فَاهِمٍ طَالِبِ الله؟ الْكُلُّ قَدْ زَاغُوا مَعاً، فَسَدُوا. لَيْسَ مَنْ يَعْمَلُ صَلاحاً، لَيْسَ وَلا وَاحِدٌ» (مزمور 14: 1–3). «كُلُّنَا كَغَنَمٍ ضَلَلْنَا. مِلْنَا كُلُّ وَاحِدٍ إِلَى طَرِيقِهِ» (إشعياء 53: 6). وقال النبي إرميا: «هُمْ مَسَاكِينُ. قَدْ جَهِلُوا لأَنَّهُمْ لَمْ يَعْرِفُوا طَرِيقَ الرَّبِّ، قَضَاءَ إِلَهِهِمْ» (إرميا 5: 4). فالذي لم يعرف طريق الرب مسكين مديون عاجز عن السداد.

لكن المسيح يؤكد لنا أن به وحده تصبح الخطية قابلة للغفران مهما كان لونها. وكلما فهمنا كلمة الله في العهدين القديم والجديد ندرك أنه كلما أحسَّ الإنسان بخطئه واعترف به تائباً عنه يسامحه الله.. وهذا ما حدث مع البلايين، نكتفي بتقديم نموذجين من العهدين القديم والجديد:

إشعياء: عندما رأى النبي إشعياء مجد الرب وسمع الملائكة يسبِّحون: «قُدُّوسٌ قُدُّوسٌ قُدُّوسٌ رَبُّ الْجُنُودِ. مَجْدُهُ مِلْءُ كُلِّ الأَرْضِ» قال: «وَيْلٌ لِي! إِنِّي هَلَكْتُ، لأَنِّي إِنْسَانٌ نَجِسُ الشَّفَتَيْنِ، وَأَنَا سَاكِنٌ بَيْنَ شَعْبٍ نَجِسِ الشَّفَتَيْنِ، لأَنَّ عَيْنَيَّ قَدْ رَأَتَا الْمَلِكَ رَبَّ الْجُنُودِ». (إشعياء 6: 5). فأرسل الله ملاكاً يحمل جمرة مسَّ بها شفتي النبي ليكفِّر عن إثمه، وليطهر شفتيه، وليجعل منه «النبي الإنجيلي» الذي تنبأ كما لم يتنبأ غيره عن ميلاد المسيح وحياته على أرضنا وموته لفدائنا.

بطرس: صرف الصيادُ الجليليُّ بطرسُ الليلَ كله يحاول أن يصيد السمك، فلم يمسك شيئاً. وفي الصباح أمره المسيح أن يلقي شباكه للصيد، فأطاع، مع أن الصيد الناجح عادةً يكون في الليل. وما أن أطاع حتى امتلأت الشبكة بالسمك، فخرَّ عند ركبتي المسيح وقال: «اخْرُجْ مِنْ سَفِينَتِي يَارَبُّ، لأَنِّي رَجُلٌ خَاطِئٌ» (لوقا 5: 8). ولم يكن بطرس يعني أن يخرج المسيح من سفينته، لكن إحساسه بعدم الاستحقاق وشعوره أنه رجل خاطئ دفعه ليقول ما قال! ولم يخرج المسيح من سفينة بطرس ولا من حياته، ولكنه باركه أكثر، وجعل منه صخرة يبني عليها كنيسته التي لن تقوى أبواب الجحيم عليها (متى 16: 18).

وكلما اقتربنا من المسيح اكتشفنا ضعفنا وعيوبنا، ولكنه يشجعنا بالقول: «لا يَحْتَاجُ الأَصِحَّاءُ إِلَى طَبِيبٍ بَلِ الْمَرْضَى. لَمْ آتِ لأَدْعُوَ أَبْرَاراً (أو مَن يظنون أنهم أبرار) بَلْ خُطَاةً إِلَى التَّوْبَةِ» (متى 9: 12، 13).

عندما نحس بخطايانا ونعترف بها ونتوب عنها يغفرها الله لنا، بفضل ما فعل المسيح لأجلنا على الصليب، فهو «الَّذِي فِيهِ لَنَا الْفِدَاءُ، بِدَمِهِ غُفْرَانُ الْخَطَايَا، حَسَبَ غِنَى نِعْمَتِهِ» (أفسس 1: 7). ويتحقَّق لنا الوعد الرسولي الصادق: «إِنِ اعْتَرَفْنَا بِخَطَايَانَا فَهُوَ أَمِينٌ وَعَادِلٌ، حَتَّى يَغْفِرَ لَنَا خَطَايَانَا وَيُطَهِّرَنَا مِنْ كُلِّ إِثْمٍ" (1يوحنا 1: 9).

وهذا ما جرى مع المرأة الخاطئة، فقال المسيح لها: «مَغْفُورَةٌ لَكِ خَطَايَاكِ». فَابْتَدَأَ الْمُتَّكِئُونَ مَعَهُ يَقُولُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ: «مَنْ هَذَا الَّذِي يَغْفِرُ خَطَايَا أَيْضاً؟». فشجَّع المرأة أكثر بقوله لها: «إِيمَانُكِ قَدْ خَلَّصَكِ! اذْهَبِي بِسَلاَمٍ».

لقد فتح الرب بصيرة المرأة الخاطئة، فرأت في المسيح ما لم يره سمعان الفريسي وضيوفه. وكان سبب عجزهم عن الرؤية أن جسد المسيح كان الحجاب (الساتر) الذي حجب مجد المسيح، كلمة الله المتجسِّد. وكم تحجب إنسانية المسيح مجده الإلهي عن عيون الكثيرين، كما حدث مع أهل الناصرة، فقالوا عنه: «مِنْ أَيْنَ لِهَذَا هَذِهِ الْحِكْمَةُ وَالْقُوَّاتُ؟ أَلَيْسَ هَذَا ابْنَ النَّجَّارِ؟ أَلَيْسَتْ أُمُّهُ تُدْعَى مَرْيَمَ، وَإِخْوَتُهُ يَعْقُوبَ وَيُوسِي وَسِمْعَانَ وَيَهُوذَا؟ أَوَلَيْسَتْ أَخَوَاتُهُ جَمِيعُهُنَّ عِنْدَنَا؟ فَمِنْ أَيْنَ لِهَذَا هَذِهِ كُلُّهَا؟» (متى 13: 54–56). لقد ظن أهل الناصرة، كما ظنَّ سمعان الفريسي وضيوفه، أن المسيح مجرد إنسان لا حقَّ له أن يغفر الخطايا لأحد. لكننا اعتماداً على الإعلان الإلهي في الكلمة المقدسة، ونتيجةً لإقناع الروح القدس، نقول: «عَظِيمٌ هُوَ سِرُّ التَّقْوَى: اللهُ ظَهَرَ فِي الْجَسَدِ» (1تيموثاوس 3: 16).

أحبَّت المرأة الخاطئة التائبة المسيح كثيراً لأنها وثقت أنه غفر لها الكثير، وأمر لها بالسلام.

ومفتاح حصولك على الغفران والسلام مع الله هو أن تؤمن بالمسيح المخلِّص، وتضع ثقتك فيه وفي فعالية كفارته، فتسترك وتمنحك غفران خطاياك، وتبدأ في التعبير العميق الصادق عن محبتك للمسيح.

ثانياً – الخدمة تعبير عن المحبة

المحبة لله علامة الحصول على الغفران، ولكنها ليست سبباً له.. كانت محبة المرأة الخاطئة للمسيح برهان الغفران الذي حصلت عليه، فقال المسيح عنها: «غُفِرَتْ خَطَايَاهَا الْكَثِيرَةُ لأَنَّهَا أَحَبَّتْ كَثِيراً». والقول «لأَنَّها أَحَبَّتْ» تعبير برهاني وليس سببياً، مثل قولنا: «هذا الشخص فرحان جداً لأنه يضحك كثيراً». فلم يغفر المسيح للمرأة لأنها أحبت كثيراً، لكنها عبَّرت عن امتنانها العميق بمحبة كثيرة بعد أن غفر لها الكثير.

الغفران اختبار داخلي تعبِّر عنه أعمال المحبة الظاهرة. وعندما ننال الغفران نحب الله لأنه أحبنا أولاً (1يوحنا 4: 19). ثم نعبِّر عن حبنا بأساليب منظورة.

أيقنت المرأة الخاطئة أن المسيح يمكن أن يقبلها، وجذبتها كلماته ونبرة صوته العطوفة. ولعل هذه الخاطئة سبق لها أن سمعته أو سمعت عنه، فجاءت إلى بيت الفريسي لتستزيد من الاستماع له. يدفعنا لهذا الاستنتاج تساؤلنا: ما الذي يُدخل مثلها إلى بيت فريسي متكبِّر في وقت وليمة أمام مشاهير القوم وبسطاء الناس، وهي المعروفة في بلدها بشرِّها؟.. لا بد أنها وجدت في المسيح الرجاء والخلاص للمرفوضين والمهمّشين مثلها، وهو الذي عُرف عنه أنه محبٌّ للعشارين والخطاة، فخلَّصها إيمانُها. ولعل دخولها بيت الفريسي كان إعلاناً لإيمانها وثقتها بالمسيح، وكان كل ما فعلته من غسل رجليه بدموعها تعبيراً عن محبة لشخصٍ أدركت أنه يقبلها بينما كل رجال الدين يرفضونها. وحتى الذين يتظاهرون بأنهم يقبلونها كانوا يعاملونها باحتقار.

بطرس مرة ثانية: ظهرت المحبة الكثيرة نتيجة الغفران الكثير في حياة الرسول بطرس الذي أنكر المسيح ثلاث مرات، فنظر المسيح إليه نظرة الشفقة والغفران، فخرج إلى خارج دار رئيس الكهنة، وبكى بكاءً مُراً (لوقا 22: 61، 62). وبعد القيامة وجَّه له المسيح سؤالاً ثلاث مرات أتبعه في كل مرة بتكليف: «أَتُحِبُّنِي؟ ارْعَ خِرَافِي.. أَتُحِبُّنِي؟ ارْعَ غَنَمِي.. أَتُحِبُّنِي؟ ارْعَ غَنَمِي» (يوحنا 21: 15–17). أنكر بطرس المسيح ثلاثاً فكلَّفه المسيح بخدمته تكليفاً مثلثاً، وكأنه يقول له: أنت أنكرتني، لكني أعرف أنك تحبني. لقد كنتَ ضعيفاً، لكني أقبلك، وأغفر لك، وأطلب أن ترعى خرافي الصغيرة وأغنامي الكبيرة، فتكون مسؤولاً بالجميع. وتكليف المسيح لبطرس يعني أنه غفر له، وقبله، واستأمنه على خدمته، وكأنه يقول له: أحبك، ولا زلت أريدك أن تعبِّر عن محبتك لي وأن تبرهنها بأن تخدمني.

يتردَّد كثيرون في أن يشهدوا للمسيح قبل أن يتعمَّقوا في معرفة المسيح وفي المعرفة عنه. والحقيقة هي أننا يجب أن نشهد للمسيح فنتقوَّى وننمو في النعمة، كما شهدت المرأة السامرية للمسيح، دون حاجة إلى أن تحصل على دراسة لاهوتية. فقد مضت من فورها تشهد لأهل مدينتها بما جرى معها، قائلةً: «هَلُمُّوا انْظُرُوا إِنْسَاناً قَالَ لِي كُلَّ مَا فَعَلْتُ» (يوحنا 4: 29).

إن كنت تدرك أن الله سامحك بالكثير، فعبِّر عن حبك الكثير له بأن تحبه وتحب البشر الذين خلقهم على صورته. «ارْمِ خُبْزَكَ عَلَى وَجْهِ الْمِيَاهِ فَإِنَّكَ تَجِدُهُ بَعْدَ أَيَّامٍ كَثِيرَةٍ (روحياً ومادياً)» (جامعة 11: 1). كُن مثل السامري الصالح الذي داوى اليهودي الجريح، المختلف معه في العقيدة والجنس. ويقول لك المسيح: «اذْهَبْ أَنْتَ أَيْضاً وَاصْنَعْ هكَذَا» (لوقا 10: 37). إن كنت قد قَبِلتَ المسيح مخلِّصاً فعبِّر عن حبك له بخدمة المحتاجين، والشهادة لهم عن المسيح. وليكن شعارك: «إِذِ الضَّرُورَةُ مَوْضُوعَةٌ عَلَيَّ، فَوَيْلٌ لِي إِنْ كُنْتُ لا أُبَشِّرُ». (1كورنثوس 9: 16).

أما إن كنت خاطئاً مثل المرأة الخاطئة، فثِق أن المسيح يحبك ويريد أن يغفر لك كل خطاياك، فتبدأ معه بداية جديدة.. تعرَّف على المسيح معرفة شخصية، وبيِّن محبتك الكثيرة له بكل أسلوب ممكن.

سؤالان

1 – اشرح العبارة التالية: «المحبة لله علامة على الحصول على الغفران، وليست سبباً له».

2 – اذكر أمرين تقدر أن تبرهن بهما محبتك للمسيح.

2 – امتياز سكنى المسيح
مثل البيت العامر بالمسيح

«43 إِذَا خَرَجَ الرُّوحُ النَّجِسُ مِنَ الإِنْسَانِ يَجْتَازُ فِي أَمَاكِنَ لَيْسَ فِيهَا مَاءٌ، يَطْلُبُ رَاحَةً وَلا يَجِدُ. 44 ثُمَّ يَقُولُ: أَرْجِعُ إِلَى بَيْتِي الَّذِي خَرَجْتُ مِنْهُ. فَيَأْتِي وَيَجِدُهُ فَارِغاً مَكْنُوساً مُزَيَّناً. 45 ثُمَّ يَذْهَبُ وَيَأْخُذُ مَعَهُ سَبْعَةَ أَرْوَاحٍ أُخَرَ أَشَرَّ مِنْهُ، فَتَدْخُلُ وَتَسْكُنُ هُنَاكَ، فَتَصِيرُ أَوَاخِرُ ذَلِكَ الإِنْسَانِ أَشَرَّ مِنْ أَوَائِلِهِ. هَكَذَا يَكُونُ أَيْضاً لِهَذَا الْجِيلِ الشِّرِّيرِ» (متى 12: 43–45).

(ورد هذا المثل أيضاً في لوقا 11: 14–26)

مناسبة رواية المثل:

أجرى المسيح معجزات كثيرة أظهرت سلطانه على عالم البشر وعالم الأرواح الشريرة، فقد شفى الناس من أمراضهم الجسدية، وطرد الشياطين من أجسادهم. ولكن شيوخ اليهود لم يؤمنوا بسماويَّة معجزاته، وقال بعضهم إنها سحر، وقال البعض الآخر إنها من عمل الشيطان، وقالوا جميعاً إنها ليست برهاناً كافياً على أنه من عند الله، فطلبوا منه معجزة من السماء، كما أنزل موسى المن الذي أكله بنو إسرائيل مدة أربعين سنة (هي سنوات تيهانهم في شبه جزيرة سيناء). فأجابهم: «جِيلٌ شِرِّيرٌ وَفَاسِقٌ يَطْلُبُ آيَةً، وَلا تُعْطَى لَهُ آيَةٌ إِلا آيَةَ يُونَانَ النَّبِيِّ. لأَنَّهُ كَمَا كَانَ يُونَانُ فِي بَطْنِ الْحُوتِ ثَلاثَةَ أَيَّامٍ وَثَلاثَ لَيَالٍ، هَكَذَا يَكُونُ ابْنُ الإِنْسَانِ فِي قَلْبِ الأَرْضِ ثَلاثَةَ أَيَّامٍ وَثَلاثَ لَيَالٍ» (متى 12: 39، 40). وفي هذا الرد أوضح المسيح أنهم فاسقون غير أمناء للعهد الذي قطعوه على أنفسهم بأن يكونوا أمناء لله، وقال إنه لن يعطيهم معجزة من النوع الذي طلبوه، ولكن معجزة قيامته بعد موته، ستكون البرهان على صدق رسالته.

ولم يكن المسيح أول من قام من الموت، لكنه أعظم من قام، لأن كل ميت قام مات ثانيةً بعد قيامته. أما المسيح فقد قام وصعد إلى السماء، وهو حيٌّ يشفع فينا. ومن سمائه سيأتي ديّاناً عادلاً للأحياء والأموات. وقد تحقَّقت نبوَّته عن نفسه، إذ صُلب يوم الجمعة، وقام من الموت صباح يوم الأحد، فكانت قيامته أعظم معجزاته.. ومضت بين موته وقيامته ثلاثة أيام وثلاث ليالٍ طبقاً للحساب اليهودي، فقد كان اليهود يحسبون الجزء من النهار نهاراً كاملاً والجزء من الليل ليلاً كاملاً. وكان التلمود (أقدس كتب اليهود بعد كتاب الله عندهم) يقول: «إضافة ساعة إلى يوم تُحسَب يوماً آخر، وإضافة يوم إلى سنة يُحسَب سنة أخرى». وبهذا حُسب جزءٌ من يوم الجمعة 24 ساعة، وكل يوم السبت 24 ساعة، وجزءٌ من يوم الأحد 24 ساعة، فكانت تلك بالحساب اليهودي ثلاثة أيام وثلاث ليال.

ثم قال المسيح لمنتقديه إن أهل نينوى سيقفون أمام عرش الله الديان يدينون يهود عصر المسيح، لأنهم آمنوا بوعظ النبي يونان، بينما لم يؤمن يهود عصر المسيح بوعظ المسيح، مع أنه أعظم من يونان.. ثم قال لهم إن ملكة التيمن (أي ملكة الجنوب) وهي ملكة سبا، ستقوم لتدين يهود عصر المسيح، لأنها تجشَّمت متاعب السفر لتسمع حكمة سليمان (1ملوك 10: 1)، بينما رفض يهود عصر المسيح تعاليمه، مع أنه أعظم من سليمان.

ثم ضرب المسيح لسامعيه المثل الذي نتأمله الآن، وهو عن صاحب بيت اكتشف أن بيته مسكونٌ بروح نجس، فطرد الساكن وبدأ يكنس آثاره السيئة، ثم زيَّن البيت. ولكنه ارتكب خطأً جسيماً، هو أنه ترك البيت بدون علامة حياة، ولا حركة، ولا عمل نافع، وأهمل أن يسلِّمه لساكن جديد يشغله ويحرسه ويصونه.

وخرج الروح النجس المطرود إلى أماكن ليس فيها ماء، وطلب راحةً فلم يجد، لأنه لا يستريح إلا إذا وجد بشراً يؤذيهم، وليس في الصحراء مَن يؤذيه. فقرَّر أن يرجع ليستطلع حال البيت الذي كان يسكنه. ولما اقترب منه ودار حوله وجد أنه بلا ساكن. ثم اكتشف أنه صار أفضل حالاً مما تركه، فقد كان مكنوساً مزيَّناً، فقرَّر أن يصحب معه سبعة شياطين آخرين ليسكنوا معه، فصارت أواخر صاحب البيت أشر من أوائله، لأنه بعد أن كان عنده ساكن نجس واحد صارت عنده ثماني أرواح نجسة! كان الشيطان الأول وحده، لكن خطأ صاحب البيت في أنه بدأ إصلاحاً ولم يكمله أدَّى إلى نتائج وخيمة، فقد صارت الشياطين الثمانية معاً قوة متحكِّمة موجِّهة مدنِّسة.

ماذا قصد المسيح بهذا المثل؟

قصد أن بني إسرائيل استمروا يعبدون الله وفي الوقت نفسه يعبدون الوثن. ولكنهم بعد السبي البابلي (الذي استمر سبعين سنة) هجروا العبادة الوثنية، ولم يعودوا إليها أبداً، فيكونون بهذا قد أخرجوا الروح النجس. ولكنهم لم يسمحوا للمسيح أن يملك عليهم، فدخلت فيهم أرواح شريرة كثيرة أردأ من الأولى.. صحيحٌ أن قلوبهم اغتسلت من عبادة الوثن، لكنها لم تتعمَّر بنعمة الله. والمسيح في هذا المثَل لا يهاجم تنظيف البيت، لأن هذا واجب، لكنه يطالب بوجود الساكن الصالح، حتى لا يعود إليه الساكن الشرير القديم بحالة أشر. إن الإصلاح الجزئي، بتَرْك الخطية، دون الامتلاء بالفضيلة، هو إصلاح سلبي.

ويشبه حال الذين يُصلِحون من أخلاقياتهم، فيتوقفون مثلاً عن الغضب والسرقة والنميمة، ولكنهم لا يُدخِلون المسيح إلى قلوبهم، حال بني إسرائيل، فإنهم سرعان ما يسقطون في الكبرياء الروحية، ويرضون عن أنفسهم، فتكون أواخرهم أشرَّ من أوائلهم، وينطبق عليهم الوصف الرسولي: «لأَنَّهُ إِذَا كَانُوا بَعْدَمَا هَرَبُوا مِنْ نَجَاسَاتِ الْعَالَمِ، بِمَعْرِفَةِ الرَّبِّ وَالْمُخَلِّصِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ، يَرْتَبِكُونَ أَيْضاً فِيهَا، فَيَنْغَلِبُونَ، فَقَدْ صَارَتْ لَهُمُ الأَوَاخِرُ أَشَرَّ مِنَ الأَوَائِلِ. لأَنَّهُ كَانَ خَيْراً لَهُمْ لَوْ لَمْ يَعْرِفُوا طَرِيقَ الْبِرِّ، مِنْ أَنَّهُمْ بَعْدَمَا عَرَفُوا يَرْتَدُّونَ عَنِ الْوَصِيَّةِ الْمُقَدَّسَةِ الْمُسَلَّمَةِ لَهُمْ» (2بطرس 2: 20، 21).

وقصد المسيح أن يعلِّمنا أيضاً أن إصلاح أخلاقياتنا لا يعني أننا خلُصنا من خطايانا، فالإصلاح بدون التغيير الكامل بعمل الروح القدس يجلب اللعنة لا البركة، لأننا لا يمكن أن نفرِّغ حياتنا من الخطية بدون أن نملأها بنعمة المسيح. ولا يمكن أن يملأ فراغ حياتنا إلا الله نفسه.

وقصد المسيح أيضاً أن يعلِّمنا أنه لا مكان للحياد في حياتنا الروحية، فإن لم نكن عبيداً للمسيح سنكون عبيداً للشيطان، لأن لكل بيت رب بيت، يسكنه ويشغله ويحرسه ويصونه ويهتم به. فإن لم يكن المسيح ربَّ البيت سيكون الشيطان ربَّه.. فليكن المسيح رب حياتنا، لأنه قال: «مَنْ لَيْسَ مَعِي فَهُوَ عَلَيَّ» (لوقا 11: 23).

أولاً – إخلاء البيت ثم تسكينه

كلنا نرغب أن نصلح أمر حياتنا وبيوتنا فنُخليها من الخطايا. وهذا ما فعله صاحب البيت إذ أخرج الروح النجس من بيته، طلباً للحياة الأفضل، لأنه رأى أن أول خطوات الإصلاح هي أن يطرد الشرير. ويقول المسيح إن الروح النجس خرج، مما يوضِّح لنا أن إبليس لا يبقى في بيت أحد بغير رضاه، وهو لا يرغم أحداً على طاعته، لكنه يكتفي بأن يقترح الأكاذيب والخداع. وللبشر كامل الحرية أن ينفذوا اقتراحاته أو أن يرفضوها.

لم يُجبِر إبليس آدم وحواء ليأكلا من الشجرة الممنوعة، لكنه اقترح عليهما أن الأكل منها سيوصلهما إلى سعادة ورقي لا يريد الله أن يمنحهما لهما. وفوراً تغيَّرت نظرتهما إلى الشجرة، فرأيا أنها جيدة للأكل وبهجة للعيون وشهيَّة للنظر، فأكلا منها (تكوين 3: 6). وسرعان ما اكتشفا أنه كذب عليهما وخدعهما وعرّاهما. وعجزا عن ستر نفسيهما، فافتقدهما الله بالأقمصة الجلدية التي سترت عريهما.

عندما جاء يوحنا المعمدان إلى اليهود من معاصري المسيح يكرز بمعمودية التوبة لمغفرة الخطايا (لوقا 3: 3) «حِينَئِذٍ خَرَجَ إِلَيْهِ أُورُشَلِيمُ وَكُلُّ الْيَهُودِيَّةِ وَجَمِيعُ الْكُورَةِ الْمُحِيطَةِ بِالأُرْدُنِّ، وَاعْتَمَدُوا مِنْهُ فِي الأُرْدُنِّ، مُعْتَرِفِينَ بِخَطَايَاهُمْ». فقال لهم: «أَنَا أُعَمِّدُكُمْ بِمَاءٍ لِلتَّوْبَةِ، وَلَكِنِ الَّذِي يَأْتِي بَعْدِي هُوَ أَقْوَى مِنِّي، الَّذِي لَسْتُ أَهْلاً أَنْ أَحْمِلَ حِذَاءَهُ. هُوَ سَيُعَمِّدُكُمْ بِالرُّوحِ الْقُدُسِ وَنَارٍ» (متى 3: 5، 6، 11). فقبلوا منه معمودية الماء، وبهذا يكونون قد طردوا الروح الشرير.. لكنهم لم يقبلوا شهادة المعمدان للمسيح، ورفضوا شهادة الروح القدس له. صحيحٌ أن ماء معمودية يوحنا غسل أجسادهم، ولكن حاجتهم الحقيقية كانت إلى غسل نفوسهم الداخلية بمعمودية الروح القدس ونار.. لقد هيّأ المعمدان بيت بني إسرائيل للساكن الجديد، فتاب السكير عن سُكره، وترك الزاني زناه، ولكنهم لم يُدخلوا المسيح قلوبهم، فصارت أواخرهم أشرَّ من أوائلهم.

ويشبِّه المسيح محاولاتنا إصلاح نفوسنا بأنها وضع رقعة من قماش جديد على ثوب عتيق، فيصير الحال أردأ. بينما الحاجة هي إلى ثوب جديد يقدِّمه الله لنا مجاناً (لوقا 5: 36). نحتاج إلى ساكن جديد في بيوتنا ينظفها ويحفظها.

الحاجة إذاً هي إلى تغيير كامل يُجريه المسيح في حياتك عندما تفتح قلبك له، فيحل فيه بالإيمان. وهو يقرع دائماً على باب قلبك ويقول لك: «هَئَنَذَا وَاقِفٌ عَلَى الْبَابِ وَأَقْرَعُ. إِنْ سَمِعَ أَحَدٌ صَوْتِي وَفَتَحَ الْبَابَ، أَدْخُلُ إِلَيْهِ وَأَتَعَشَّى مَعَهُ وَهُوَ مَعِي» (رؤيا 3: 20). فهو الساكن القدوس الذي إن دخل القلب يُشبع الحياة.. الساكن الأول شرير يسلب صاحب البيت كل سلام، ويضيِّع منه كل فرح، ويملأ نفسه بالرعب. وعندما يشعر صاحب البيت بهذه الشرور ويطلب التغيير، يجب أن يسمح للقارع الجديد أن يدخل البيت ليُعمِّره بالمحبة والفرح والسلام.

وعندما يدخل المسيح قلبك يجب أن يكون هو المالك الوحيد، لأنه يغار عليك غيرة مقدسة تطالبك بأن تحبه وحده، ولا تُشرك معه في قلبك أحداً، لأن «الرَّبَّ إِلَهَكَ إِلَهٌ غَيُورٌ» (خروج 20: 5) يطلب الولاء الكامل له، ولا يسمح للشرير أن يمسَّك (1يوحنا 5: 18)، فتفرِّغ البيت من الساكن الشرير بأن تخلع «الإِنْسَانَ الْعَتِيقَ الْفَاسِدَ بِحَسَبِ شَهَوَاتِ الْغُرُورِ» (أفسس 4: 22). ولكنك لا تتوقف عند هذا التفريغ والخلع، بل تمضي إلى تعمير البيت بالساكن الجديد، «وَتَتَجَدَّدُوا بِرُوحِ ذِهْنِكُمْ» (أفسس 4: 23) فتصبح أفكارك جديدة، وعواطفك مقدسة، وإرادتك خاضعة للرب «وَتَلْبَسُوا الإِنْسَانَ الْجَدِيدَ الْمَخْلُوقَ بِحَسَبِ الله فِي الْبِرِّ وَقَدَاسَةِ الْحَقِّ» (أفسس 4: 24).

ولكي يتَّضح لنا أننا خلعنا القديم وفي الوقت نفسه لبسنا الجديد، يجب أن نطرح عنا الكذب وأن نتكلم بالصدق كل واحد مع قريبه (أفسس 4: 25)؛ ويجب أن لا تغرب الشمس على غيظنا حتى لا نعطي إبليس مكاناً، فنغفر ونتصالح مع المسيئين إلينا قبل أن ينتهي يومنا (أفسس 4: 26، 27)؛ و«لا يَسْرِقِ السَّارِقُ فِي مَا بَعْدُ، بَلْ بِالْحَرِيِّ يَتْعَبُ عَامِلاً الصَّالِحَ بِيَدَيْهِ، لِيَكُونَ لَهُ أَنْ يُعْطِيَ مَنْ لَهُ احْتِيَاجٌ» (آية 28)؛ و«لا تَخْرُجْ كَلِمَةٌ رَدِيَّةٌ مِنْ أَفْوَاهِكُمْ، بَلْ كُلُّ مَا كَانَ صَالِحاً لِلْبُنْيَانِ، حَسَبَ الْحَاجَةِ، كَيْ يُعْطِيَ نِعْمَةً لِلسَّامِعِينَ» (آية 29)؛ و«لِيُرْفَعْ مِنْ بَيْنِكُمْ كُلُّ مَرَارَةٍ وَسَخَطٍ وَغَضَبٍ وَصِيَاحٍ وَتَجْدِيفٍ مَعَ كُلِّ خُبْثٍ. وَكُونُوا لُطَفَاءَ بَعْضُكُمْ نَحْوَ بَعْضٍ، شَفُوقِينَ مُتَسَامِحِينَ كَمَا سَامَحَكُمُ الله أَيْضاً فِي الْمَسِيحِ» (آيتا 31، 32).

لا بد أن نطرد الساكن القديم باتجاهاته الفاسدة وميوله الشريرة وأفعاله الأثيمة، ثم نعمِّر حياتنا بالساكن الجديد مع كل فضائله. «إِذاً إِنْ كَانَ أَحَدٌ فِي الْمَسِيحِ فَهُوَ خَلِيقَةٌ جَدِيدَةٌ. الأَشْيَاءُ الْعَتِيقَةُ قَدْ مَضَتْ. هُوَذَا الْكُلُّ قَدْ صَارَ جَدِيداً» (2كورنثوس 5: 17).

ثانياً – الحذر من عودة الساكن الأول

من الغريب أن الساكن القديم الشرير قال: «أَرْجِعُ إِلَى بَيْتِي». فهل حقاً كان البيت بيته؟.. إنه لم يخلقه ولا تعب فيه، لكنه عاث فيه فساداً. فقوله: «أَرْجِعُ إِلَى بَيْتِي» اختلاقٌ وكذبٌ، لأنه الكذاب وأبو الكذاب. أما المستحق الوحيد أن يسكن بيتك فهو صاحبه الحقيقي الذي خلقك والذي يشفق عليك، والذي خاطبه المرنم بالقول: «نَسَجْتَنِي فِي بَطْنِ أُمِّي. أَحْمَدُكَ مِنْ أَجْلِ أَنِّي قَدِ امْتَرَتُ عَجَباً. عَجِيبَةٌ هِيَ أَعْمَالُكَ، وَنَفْسِي تَعْرِفُ ذَلِكَ يَقِيناً» (مزمور 139: 13، 14). هو الذي يهتمُّ ويعتني بك، والذي اشتراك بالفداء. هو الذي به تحيا وتتحرك وتوجد (أعمال 17: 28). أنت تتنفَّس هواءه، وتشبع بغذائه وترتوي بمائه، وتتمتَّع برعايته الأبوية الصالحة. وهو الذي اشتراك بفدائه. حقاً «اشْتُرِيتُمْ بِثَمَنٍ. فَمَجِّدُوا اللهَ فِي أَجْسَادِكُمْ وَفِي أَرْوَاحِكُمُ الَّتِي هِيَ للهِ» (1كورنثوس 6: 20). أنت فعلاً بيته الذي له حق امتلاكه مرتين، مرةً لأنه صنعك، ومرةً لأنه اشتراك.. مرةً بالولادة الجسدية، ومرة بالولادة الثانية من الروح القدس. فلتعطه حق الدخول والامتلاك، فيمنحك الحماية والضمان.

وعندما نُخلي البيت من الساكن الشرير ويعمِّره مالكه الحقيقي يجب أن نكون على حذر، لأن الساكن القديم الذي طُرد وأُجبر على الخروج سيشعر بالهزيمة، ويتحيَّن الفُرص ليسترجع ما كان يدَّعي أنه يملكه. لذلك «اُصْحُوا وَاسْهَرُوا لأَنَّ إِبْلِيسَ خَصْمَكُمْ كَأَسَدٍ زَائِرٍ، يَجُولُ مُلْتَمِساً مَنْ يَبْتَلِعُهُ هُوَ. فَقَاوِمُوهُ رَاسِخِينَ فِي الإِيمَانِ» (1بطرس 5: 8، 9). وهو ليس أسداً إنما يخدعنا بأنه أسد، فيزأر ليرعب، وهو في واقع الأمر لا يملك إلا صوته. لكنه يجول ملتمساً النائمين والغافلين ليبتلعهم. إنه لا يترك المؤمن الجديد في حاله الجديد يتمتع بحياته الجديدة، لكنه يحاربه ويحاول استعادته. فلنتوقَّع الحرب، ولنكن صاحين يقظين داخل دائرة نعمة الله، فقد حذَّرنا المسيح بقوله: «اسْهَرُوا وَصَلُّوا لِئَلا تَدْخُلُوا فِي تَجْرِبَةٍ» (متى 26: 41).. وعندما يقول لك الشيطان إنك بيته، قُل له إنك هيكل الرب، وإن روحه يسكن فيك (1كورنثوس 6: 19)، وستراه يركض مذعوراً، لأن المسيح صاحب البيت سيرعبه.

ثالثاً – بقاء المالك الجديد

يوجد ساكن شرير يجب طرده، ويوجد ساكن جديد يجب أن يملُك ويستمر امتلاكه وملكه، لأنه المالك الحقيقي الوحيد. ولكي يستمر المسيح سيداً لك وساكناً دائماً في قلبك أقدِّم لك ثلاث نصائح:

1 – اعرِف حجم المشكلة: الشيطان يهاجمنا دائماً، خصوصاً بعد قبولنا المسيح مخلِّصاً وفادياً. ولكن وعد المسيح لتلميذه بطرس هو لكل من فتح قلبه لخلاص المسيح: «الشَّيْطَانُ طَلَبَكُمْ لِكَيْ يُغَرْبِلَكُمْ كَالْحِنْطَةِ! وَلَكِنِّي طَلَبْتُ مِنْ أَجْلِكَ لِكَيْ لا يَفْنَى إِيمَانُكَ. وَأَنْتَ مَتَى رَجَعْتَ ثَبِّتْ إِخْوَتَكَ» (لوقا 22: 31، 32). وإدراكك لحجم المشكلة يجعلك تطيع الوصية الرسولية: «تَقَوَّوْا فِي الرَّبِّ وَفِي شِدَّةِ قُوَّتِهِ. الْبَسُوا سِلاحَ اللهِ الْكَامِلَ لِكَيْ تَقْدِرُوا أَنْ تَثْبُتُوا ضِدَّ مَكَايِدِ إِبْلِيسَ.. احْمِلُوا سِلاحَ اللهِ الْكَامِلَ لِكَيْ تَقْدِرُوا أَنْ تُقَاوِمُوا فِي الْيَوْمِ الشِّرِّيرِ، وَبَعْدَ أَنْ تُتَمِّمُوا كُلَّ شَيْءٍ أَنْ تَثْبُتُوا» (أفسس 6: 10، 11، 13)، «قَاوِمُوا إِبْلِيسَ فَيَهْرُبَ مِنْكُمْ» (يعقوب 4: 7)، فتقول: «إِنْ كَانَ اللهُ مَعَنَا فَمَنْ عَلَيْنَا!.. لَكِنَّنَا فِي هَذِهِ جَمِيعِهَا يَعْظُمُ انْتِصَارُنَا بِالَّذِي أَحَبَّنَا» (رومية 8: 31، 37).

2 – سيادة المسيح على الحياة كلها: يجب أن يسيطر المسيح على كل أمور حياتك، طاعةً للنصيحة الرسولية: «أَطْلُبُ إِلَيْكُمْ أَيُّهَا الإِخْوَةُ بِرَأْفَةِ الله أَنْ تُقَدِّمُوا أَجْسَادَكُمْ ذَبِيحَةً حَيَّةً مُقَدَّسَةً مَرْضِيَّةً عِنْدَ الله، عِبَادَتَكُمُ الْعَقْلِيَّةَ» (رومية 12: 1) فتضع جسدك بكامل رغبتك واختيارك على المذبح الإلهي ليصبح ملكاً للرب. كانت ذبيحة العهد القديم تُذبَح ثم توضع على المذبح. أما ذبيحة العهد الجديد فهي ذبيحة المؤمن الحي، الذي يقدِّم نفسه لله بكامل رضاه وإرادته قائلاً: «حَبِيبِي لِي وَأَنَا لَهُ» (نشيد 2: 16).

3 – املأ وقتك بخدمة الرب: عندما يدخل المسيح قلبك ويغيِّر حياتك يجب أن تبدأ الشهادة لعمل النعمة فيك، وتقول: «لأَنِّي لَسْتُ أَسْتَحِي بِإِنْجِيلِ الْمَسِيحِ، لأَنَّهُ قُوَّةُ الله لِلْخَلاصِ لِكُلِّ مَنْ يُؤْمِنُ» (رومية 1: 16)، وتطيع تكليف المسيح: «اذْهَبْ إِلَى بَيْتِكَ وَإِلَى أَهْلِكَ، وَأَخْبِرْهُمْ كَمْ صَنَعَ الرَّبُّ بِكَ وَرَحِمَكَ» (مرقس 5: 19).. وهذه الخدمة والشهادة للرب تحفظك قوياً لأن قلبك سينشغل بخير النفوس الأبدي، وستنال المكافأة السماوية: «إِنْ كَانَ أَحَدٌ يَخْدِمُنِي فَلْيَتْبَعْنِي، وَحَيْثُ أَكُونُ أَنَا هُنَاكَ أَيْضاً يَكُونُ خَادِمِي. وَإِنْ كَانَ أَحَدٌ يَخْدِمُنِي يُكْرِمُهُ الآبُ» (يوحنا 12: 26).

وما أكثر الخدمات التي يمكن أن تقدِّمها للرب وللمؤمنين، بالعمل والقدوة الحسنة، متمثِّلاً بالمسيح، فيرى الناس المسيح فيك، وتفيح منك رائحته الذكية (2كورنثوس 2: 15).

فإن أردت أن يكون بيتك عامراً بالرب، فلتكن دوماً في خدمة الرب، تملأ حياتك بما ينفع الناس.

سؤالان

1 – كيف نتخلَّص من الساكن النجس؟

2 – كيف نضمن استمرار المالك الجديد؟

3 – امتياز الحياة ذات التحدِّيات
مثلا البرج المُكمَل، والملك المستعد للحرب

«25 وكَانَ جُمُوعٌ كَثِيرَةٌ سَائِرِينَ مَعَهُ، فَالْتَفَتَ وَقَالَ لَهُمْ: 26 «إِنْ كَانَ أَحَدٌ يَأْتِي إِلَيَّ وَلا يُبْغِضُ أَبَاهُ وَأُمَّهُ وَامْرَأَتَهُ وَأَوْلادَهُ وَإِخْوَتَهُ وَأَخَوَاتِهِ، حَتَّى نَفْسَهُ أَيْضاً، فَلا يَقْدِرُ أَنْ يَكُونَ لِي تِلْمِيذاً. 27 وَمَنْ لا يَحْمِلُ صَلِيبَهُ وَيَأْتِي وَرَائِي فَلا يَقْدِرُ أَنْ يَكُونَ لِي تِلْمِيذاً. 28 وَمَنْ مِنْكُمْ وَهُوَ يُرِيدُ أَنْ يَبْنِيَ بُرْجاً لا يَجْلِسُ أَوَّلاً وَيَحْسِبُ النَّفَقَةَ، هَلْ عِنْدَهُ مَا يَلْزَمُ لِكَمَالِهِ؟ 29 لِئَلا يَضَعَ الأَسَاسَ وَلا يَقْدِرَ أَنْ يُكَمِّلَ، فَيَبْتَدِئَ جَمِيعُ النَّاظِرِينَ يَهْزَأُونَ بِهِ، 30 قَائِلِينَ: هَذَا الإِنْسَانُ ابْتَدَأَ يَبْنِي وَلَمْ يَقْدِرْ أَنْ يُكَمِّلَ. 31 وَأَيُّ مَلِكٍ إِنْ ذَهَبَ لِمُقَاتَلَةِ مَلِكٍ آخَرَ فِي حَرْبٍ، لا يَجْلِسُ أَوَّلاً وَيَتَشَاوَرُ: هَلْ يَسْتَطِيعُ أَنْ يُلاقِيَ بِعَشَرَةِ آلافٍ الَّذِي يَأْتِي عَلَيْهِ بِعِشْرِينَ أَلْفاً؟ 32 وَإِلا فَمَا دَامَ ذَلِكَ بَعِيداً، يُرْسِلُ سَفَارَةً وَيَسْأَلُ مَا هُوَ لِلصُّلْحِ. 33 فَكَذَلِكَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْكُمْ لا يَتْرُكُ جَمِيعَ أَمْوَالِهِ، لا يَقْدِرُ أَنْ يَكُونَ لِي تِلْمِيذاً» (لوقا 14: 25–33).

كان المسيح في طريقه إلى الصليب فتبعته جموعٌ سبق أن أطعمهم فشبعوا، وأبرأهم فشُفوا، وربما تبعوه لأنهم أرادوا أن يأخذوا منه أكثر. وصحيحٌ أنه كلما سرنا وراء المسيح نأخذ منه أكثر، لكننا نخطئ لو حسبنا أن الأخذ هو كل شيء، لأن كل أخذ يقابله عطاء. إنه يعطيك مجاناً لكي تعطي الآخرين. وقد أعطاك ذاته لتعيش له ولخدمته. وعندما تكتفي بالأخذ دون العطاء تموت.. يمنحنا المسيح بركات ويطالبنا بحَمْل مسؤوليات، ويقول: «إِنْ كَانَ أَحَدٌ يَأْتِي إِلَيَّ وَلا يُبْغِضُ أَبَاهُ وَأُمَّهُ وَامْرَأَتَهُ وَأَوْلادَهُ وَإِخْوَتَهُ وَأَخَوَاتِهِ، حَتَّى نَفْسَهُ أَيْضاً، فَلا يَقْدِرُ أَنْ يَكُونَ لِي تِلْمِيذاً.. فَكَذَلِكَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْكُمْ لا يَتْرُكُ جَمِيعَ أَمْوَالِهِ، لا يَقْدِرُ أَنْ يَكُونَ لِي تِلْمِيذاً» (لوقا 14: 26، 33). وليس معنى هذا أن يكره الإنسان أحباءه، بل أن يكون للمسيح المقام الأول في حياتنا قبل العائلة والأصدقاء والعمل والمال وكل شيء، فهو اللؤلؤة الواحدة كثيرة الثمن الذي يستحق أن نهجر كل شيء في سبيل اتِّباعه (متى 13: 45، 46). كل ما نملكه بدون نعمة المسيح فانٍ، وفي نوره المجيد يخبو بريق كل شيء، ويصير مثل ضوء شمعة في نور الشمس، يبدو باهتاً كأن لا وجود له، بل يمكن الاستغناء عنه، لأن الشمس تمنح كل النور والدفء.

ونبَّه المسيح الجموع التي تبعته لتكلفة السير وراءه، فقد تبعه البعض دون أن يدركوا ثمن اتِّباعه. وسار البعض الآخر وراءه بحماس عاطفي حتى نالهم الاضطهاد فارتدّوا عنه. وسار البعض الثالث وراءه طمعاً في عطاياه، وعندما لم يعطهم ما طالبوا به هجروه.. وهو لا يريد جمعاً غفيراً يتبعه كالقطيع، بل يطلب مؤمنين يدركون أن «مَنْ أَرَادَ أَنْ يُخَلِّصَ نَفْسَهُ يُهْلِكُهَا، وَمَنْ يُهْلِكُ نَفْسَهُ مِنْ أَجْلِي يَجِدُهَا» (متى 16: 25).

ولا شك أن من يتبع المسيح يجب أن يدخل من الباب الضيق ويسير في الطريق الكرب (متى 7: 14). ولم يقصد المسيح أن يضيف للباب الضيق ضيقاً ولا للطريق الكرب كرباً، ولم يُرِد أن يطفئ حماس الذين أرادوا اتِّباعه، بل قصد إبعاد العاطفيين الذين يقبلون الكلمة بفرح، ولكن عندما تصادفهم المتاعب يرتدّون، كما أراد إبعاد التابعين المتعجِّلين المندفعين الذين يجهلون تكلفة التلمذة له (لوقا 9: 57، 58).

وفي حياتنا اليومية نجد كثيرين يبدأون ولا يكملون، فهناك من يشتري شيئاً بالتقسيط، ويدفع أول الأقساط ثم يعجز عن السداد، فيصبح أضحوكة جيرانه. وهناك من يدفع ثمن سيارة أو آلة تصوير ثم يعجز عن دفع

نفقات تشغيلها، فتبقى عنده بلا فائدة. وهناك من ينذر نذوراً يعجز عن الوفاء بها، لذلك قال إمام الحكماء سليمان: «أَنْ لا تَنْذُرُ خَيْرٌ مِنْ أَنْ تَنْذُرَ وَلا تَفِيَ» (جامعة 5: 5).

ولكي يوصِّل المسيح فكرة حساب التكلفة، وليبصِّر سامعيه بنفقة اتِّباعه، ضرب لهم مثَلَيْن: المثل الأول أن مَن يريد أن يبني برجاً يجب أن يجلس أولاً ويحسب نفقة البناء لئلا يضع الأساس ولا يقدر أن يكمل فيهزأ به الناس. ولعله وقت رواية هذا المثل كان يرى بناءً ناقصاً من المباني التي اعتاد أفراد عائلة الملك هيرودس أن يبدأوا بناءها دون أن يكملوها، فضرب بهم هذا المثل.. أما المثل الثاني فعن الملك الذي يجب أن يتشاور أولاً مع قادة جيشه قبل أن يشنَّ حرباً، ليعرف إن كان عنده ما تحتاجه الحرب من رجال وعتاد ومؤن. ثم يقرر هل يحارب العدو أو يرضى بعقد معاهدة صلح معه.

أولاً – هدفنا أن نبني وأن ننتصر

الحياة مع المسيح بناءٌ كما أنها حرب، فكلما أردنا بناء أنفسنا في الإيمان لقينا المقاومة.. والحياة الإيمانية جهادٌ أكبر داخلي مع النفس، كما أنها جهاد أصغر مع المصاعب التي تقاومها من خارج النفس. هي مثل بناء برج أو جهاد في معركة حربية.. وكل من يريد أن يتبع المسيح يجب أن يعطيه المكان الأول في حياته قبل كل علاقاته الاجتماعية والاقتصادية، وعليه أن يصلب الجسد مع الأهواء والشهوات (غلاطية 5: 24) وعليه أن يحمل صليبه كل يوم ويسير وراء المسيح متتلمذاً له (لوقا 14: 27). «لِنَطْرَحْ كُلَّ ثِقْلٍ وَالْخَطِيَّةَ الْمُحِيطَةَ بِنَا بِسُهُولَةٍ، وَلْنُحَاضِرْ بِالصَّبْرِ فِي الْجِهَادِ الْمَوْضُوعِ أَمَامَنَا، نَاظِرِينَ إِلَى رَئِيسِ الإِيمَانِ وَمُكَمِّلِهِ يَسُوعَ، الَّذِي مِنْ أَجْلِ السُّرُورِ الْمَوْضُوعِ أَمَامَهُ احْتَمَلَ الصَّلِيبَ» (عبرانيين 12: 1، 2).

عندما تريد أن تبنى حياتك الإيمانية، وترفع قامة عائلتك وكنيستك، يجب أن تتوقَّع الحرب. وكلنا يبني، سواء أردنا أم لم نُرِد. قد يبني الإنسان بيتاً أرضياً. وقد يبني سجناً.. وكل أب متسلِّط يجعل من بيته سجناً لزوجته وأولاده. وقد يبني ملهى يضيِّع فيه حياته في شهواته وملذاته.. وقد يبني سفينة لا تستقر في مكان. ولكنه يمكن أن يبني هيكلاً للرب يَفرح به، ويُفرِح به من هم حوله.. والحكيم هو الذي يبني برجاً روحياً يرتفع ويعلو كل يوم، فينمو في النعمة وفي معرفة ربنا يسوع المسيح (2بطرس 3: 18). فإن كنت تبني، لا تكتفِ ببناء كوخ فتصرف جهدك في بناءٍ متواضع، بل أَقِم بناءً عظيماً. اعمل للمسيح بفكر كبير. لا تفكر بإمكانياتك أنت بل بعجائبه هو، ولا بقوتك المحدودة لكن بقدراته غير المحدودة.. كثيرون ينظرون إلى أنفسهم أنهم أصفار، وأن كل ما معهم مجرد خمس خبزات وسمكتين فيقولون للمسيح: «وَلَكِنْ مَا هَذَا لِمِثْلِ هَؤُلاءِ؟» (يوحنا 6: 9). ولكن ما أن يضعوا إمكانياتهم المحدودة في يد المسيح حتى يُطعم بهم الآلاف، بل وتفيض اثنتا عشرة قُفَّة. ولا تقنع ببناء رمال على الشاطئ بل ادخُل إلى العُمق، وابْنِ على الصخر. عندئذ لا تخاف من رياح أو أمطار، لأنك مؤسَّس على المسيح صخر الدهور. كم من مؤمنين حزانى على أنفسهم وعلى بيوتهم وعلى كنائسهم، ويفكرون دوماً بمنطق اليأس، ولا يرون إلا نصف الكوب الفارغ.. وعلى هؤلاء أن يرفعوا أنظارهم إلى المسيح رئيس الإيمان، ليكتشفوا أنه لا يأس معه (عبرانيين 12: 2). «كَحَزَانَى وَنَحْنُ دَائِماً فَرِحُونَ. كَفُقَرَاءَ وَنَحْنُ نُغْنِي كَثِيرِينَ. كَأَنْ لا شَيْءَ لَنَا وَنَحْنُ نَمْلِكُ كُلَّ شَيْءٍ» (2كورنثوس 6: 10).

عندما يرتفع بناء البرج يراه الجميع، «لِكَيْ يَرَوْا أَعْمَالَكُمُ الْحَسَنَةَ، وَيُمَجِّدُوا أَبَاكُمُ الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ» (متى 5: 16) سيرى الناس عملك على أي حال، فليروا فيك شيئاً عظيماً من عمل نعمة المسيح. إنك معه بطل. «لِيَقُلِ الضَّعِيفُ: بَطَلٌ أَنَا!.. يَعْظُمُ انْتِصَارُنَا بِالَّذِي أَحَبَّنَا» (يوئيل 3: 10 ورومية 8: 37). «أَنْتُمْ مِنَ اللهِ أَيُّهَا

الأَوْلادُ، وَقَدْ غَلَبْتُمُوهُمْ لأَنَّ الَّذِي فِيكُمْ أَعْظَمُ مِنَ الَّذِي فِي الْعَالَمِ.. لأَنَّ كُلَّ مَنْ وُلِدَ مِنَ الله يَغْلِبُ الْعَالَمَ. وَهَذِهِ هِيَ الْغَلَبَةُ الَّتِي تَغْلِبُ الْعَالَمَ: إِيمَانُنَا» (1يوحنا 4: 4 و5: 4)

ما أعظم المعجزات التي يمكن أن يُجريها المسيح بواسطة المؤمنين الذين يسلِّمون نفوسهم له، ويبنون أنفسهم على إيمانهم الأقدس (رسالة يهوذا 20). فلتكن نفوسنا كباراً حتى لو تعبت في مرادها الأجسام، لأننا نحلم للرب ونبني له بغير يأس، متذكرين تاريخ الرسل والقديسين الذين بنوا وربحوا أفراداً وشعوباً للرب.

ثانياً – يجب أن نحسب التكلفة

إن أردت أن تبني حياتك مثل برج يعلو لمجد الله فاحسب تكلفة البناء، ثم تكلفة حراسته، وتخيَّر طريقة الدفاع عنه.

1 – ليكن عندك خطة للبناء: أعدَّ الله للمؤمنين خُطة حياة، وعلى كل مؤمن أن يسأل: «يَا رَبُّ، مَاذَا تُرِيدُ أَنْ أَفْعَلَ؟» (أعمال 9: 6). ويقول الرسول بولس عن هذه الخطة: «لأَنَّنَا نَحْنُ (المؤمنين) عَمَلُهُ (الله)، مَخْلُوقِينَ فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ لأَعْمَالٍ صَالِحَةٍ، قَدْ سَبَقَ الله فَأَعَدَّهَا لِكَيْ نَسْلُكَ فِيهَا» (أفسس 2: 10).

وستجد خطة الله لحياتك في كتابك المقدس. اقرأ الكلمة لتعرف ماذا يريد الله منك.

2 – ابدأ مبكراً بكل قلبك: أَطِع نصيحة إمام الحكماء سليمان: «فَاذْكُرْ خَالِقَكَ فِي أَيَّامِ شَبَابِكَ، قَبْلَ أَنْ تَأْتِيَ أَيَّامُ الشَّرِّ أَوْ تَجِيءَ السِّنِينَ إِذْ تَقُولُ: لَيْسَ لِي فِيهَا سُرُورٌ» (جامعة 12: 1).. ضع كل قلبك على البناء، وأعطه كل الانتباه، وارفع صلاة المرنم: «عَلِّمْنِي يَا رَبُّ طَرِيقَكَ، أَسْلُكْ فِي حَقِّكَ. وَحِّدْ قَلْبِي لِخَوْفِ اسْمِكَ» (مزمور 86: 11)، ولا تنسَ أن رجلاً ذا رأيين «هُوَ مُتَقَلْقِلٌ فِي جَمِيعِ طُرُقِهِ» (يعقوب 1: 8).

3 – ابدأ بالأساس: قال الرسول بولس: «لا يَسْتَطِيعُ أَحَدٌ أَنْ يَضَعَ أَسَاساً آخَرَ غَيْرَ الَّذِي وُضِعَ، الَّذِي هُوَ يَسُوعُ الْمَسِيحُ» (1كورنثوس 3: 11). فيجب أن يكون المسيح هو المخلِّص والفادي وسيد الحياة.. وقال أيضاً: «مَبْنِيِّينَ عَلَى أَسَاسِ الرُّسُلِ وَالأَنْبِيَاءِ، وَيَسُوعُ الْمَسِيحُ نَفْسُهُ حَجَرُ الزَّاوِيَةِ، الَّذِي فِيهِ كُلُّ الْبِنَاءِ مُرَكَّباً مَعاً يَنْمُو هَيْكَلاً مُقَدَّساً فِي الرَّبِّ» (أفسس 2: 20، 21). فالأساس هو المسيح الذي علَّمنا عنه رسله الكرام مما سمعوه من تعاليمه، ورأوه من معجزاته، بعد أن لمسته أيديهم لأنه الكلمة المتجسِّد (1يوحنا 1: 1)، ونقلوا تعاليمه إلى الناس من بعدهم، فقام أنبياء العهد الجديد ينشرون هذه التعاليم ويبنون الناس في الإيمان، ويعظونهم مشجِّعين، ويسلّونهم برواية تواريخ معاملات الله مع شعبه (1كورنثوس 14: 3).. أما حجر الزاوية فهو المسيح الذي يربط جدران البناء معاً، فهو الذي يجمع أبناء الله المتفرِّقين إلى بعضهم البعض، ويقرِّب المؤمنين الذين جاءوا من خلفيات مختلفة ليكونوا بناءً واحداً، مركبا معاً، يرتبط أحدهم بالآخر هيكلاً مقدساً في الرب. المسيح إذاً هو أساس الحياة الروحية، وتعاليمه هي أساس الإيمان.

4 – اختَرْ أفضل مواد البناء: بعد أن اخترتَ الأساس السليم ابْنِ بأفضل المواد. احترس من الأشياء التي لا تبني، والتي قال عنها الرسول بولس: «كُلُّ الأَشْيَاءِ تَحِلُّ لِي، لَكِنْ لَيْسَ كُلُّ الأَشْيَاءِ تُوافِقُ. كُلُّ الأَشْيَاءِ تَحِلُّ لِي، وَلَكِنْ لَيْسَ كُلُّ الأَشْيَاءِ تَبْنِي» (1كورنثوس 10: 23) والذين يبنون على الأساس الصحيح يبنون ذهباً، أو فضةً، أو حجارةً كريمة، أو خشباً أو عشباً أو قشاً (1كورنثوس 3: 12). فليكن بناؤك ذهباً وفضة وحجارة كريمة، واحترس من القش وما شابهه، فإن الرب في اليوم الأخير سيمتحن بالنار عمل كل واحد. فإن بقي ما عملته، بعد أن تكون قد بنيته على أساس المسيح، ستأخذ أجرة (1كورنثوس 3: 13، 14).

والذهب والفضة والحجارة الكريمة هي كلمة الله، والصلاة. لا يمكن أن نبني نفوسنا بالأشياء الهشَّة، إنما نبنيها بدراسة الكلمة والتعمُّق فيها، فتمتلئ قلوبنا بها، وتصبح سراجاً لأرجلنا ونوراً لسبيلنا (مزمور 119:

105). فلنقْتَدِ بالنبي إرميا الذي قال: «وُجِدَ كَلاَمُكَ فَأَكَلْتُهُ، فَكَانَ كَلاَمُكَ لِي لِلْفَرَحِ وَلِبَهْجَةِ قَلْبِي» (إرميا 15: 16). ابنِ حياتك في مخدع الصلاة حيث يجهِّز لك الرب في محضره مائدة دسمة مُشبعة من كلمته (مزمور 23: 5)، فلا تصيبك الأنيميا الروحية فتخور في الطريق وتشتهي الخرنوب الذي تأكله الخنازير (لوقا 15: 16). اصعد على جبال الصلاة العالية ولا تسكن في وديان العالم المنخفضة، لأن الرب يدعوك أن تعلو معه إلى جبل التجلي، فترى ناموس موسى وتعاليم إيليا، لكنك فوق هذا كله تحظى برؤية المسيح الذي يبقى معك فتبقى معه.. ومعروفٌ أن التلاميذ الثلاثة الذين صعدوا مع المسيح إلى جبل التجلي رأوا مجده الأسنى، أما التلاميذ الذين بقوا في الوادي فقد أصابهم اليأس وهم يرون الروح النجس يصرع ولداً بائساً! (لوقا 9: 28-43).

لا تبدأ البناء بقوتك الذاتية، بل اعتمِد على النعمة، وليكن شعارك: «مَعَ الْمَسِيحِ صُلِبْتُ، فَأَحْيَا لا أَنَا بَلِ الْمَسِيحُ يَحْيَا فِيَّ» (غلاطية 2: 20). في اعتمادك على حياة المسيح فيك ستكون مثل بطرس وهو يمشي على الماء. فاحترِس من أن تعتمد على قوتك الشخصية لئلا تبدأ تغرق (متى 14: 28-30). في حياة المسيح فيك ستختبر سلطانه وقوته، ويتحقَّق لك وعده: «مَنْ يُؤْمِنُ بِي فَالأَعْمَالُ الَّتِي أَنَا أَعْمَلُهَا يَعْمَلُهَا هُوَ أَيْضاً، وَيَعْمَلُ أَعْظَمَ مِنْهَا، لأَنِّي مَاضٍ إِلَى أَبِي. وَمَهْمَا سَأَلْتُمْ بِاسْمِي فَذَلِكَ أَفْعَلُهُ لِيَتَمَجَّدَ الآبُ بِالابْنِ. إِنْ سَأَلْتُمْ شَيْئاً بِاسْمِي فَإِنِّي أَفْعَلُهُ» (يوحنا 14: 12-14).

إن وضعت أساساً متيناً، وبنيت عليه بأفضل مواد بناء، ودافعت عن نفسك بسيف الروح الذي هو كلمة الله، سيرتفع برجك الروحي لأن ربَّك سيؤيدك بقوته، فيُعجَب بك جميع الناظرين ويقولون: هذا الإنسان بدأ وأكمل، لأنه آمن بالوعد الإلهي: «لا تَخَفْ لأَنِّي فَدَيْتُكَ. دَعَوْتُكَ بِاسْمِكَ. أَنْتَ لِي. إِذَا اجْتَزْتَ فِي الْمِيَاهِ فَأَنَا مَعَكَ، وَفِي الأَنْهَارِ فَلا تَغْمُرُكَ. إِذَا مَشَيْتَ فِي النَّارِ فَلا تُلْذَعُ، وَاللهيبُ لا يُحْرِقُكَ» (إشعياء 43: 1، 2).

5 – ابْنِ بيد، وامسك السلاح باليد الأخرى: كل من يبني برجاً يرفع بناء حياته وعائلته وكنيسته ومجتمعه لا بد يلقى المقاومة، وعليه أن يطبِّق نموذج رجال نحميا «الْبَانُونَ عَلَى السُّورِ بَنَوْا وَحَامِلُو الأَحْمَالِ حَمَلُوا. بِالْيَدِ الْوَاحِدَةِ يَعْمَلُونَ الْعَمَلَ، وَبِالأُخْرَى يُمْسِكُونَ السِّلاحَ. وَكَانَ الْبَانُونَ يَبْنُونَ وَسَيْفُ كُلُّ وَاحِدٍ مَرْبُوطٌ عَلَى جَنْبِهِ» (نحميا 4: 17، 18)، فلم يكن البناء سهلاً، لأن إبليس عدوٌّ شرس، وهو يعلم أن بناء البرج سيهدِّد حصونه فلا بد يحارب ويقاوم ويهدد.

وفي حياتك الروحية ستجد حرباً عليك من داخل نفسك، فإن الجسد يشتهي ضد الروح، والروح ضد الجسد، وهذان يقاوم أحدهما الآخر حتى تفعل ما لا تريد (غلاطية 5: 17). وستجد حرباً عليك من المجتمع الذي لا يخاف الله، والذي تختلف قِيَمه عن قِيَم ملكوت السماوات، والذي يُقال لنا عنه: «لا تُحِبُّوا الْعَالَمَ وَلا الأَشْيَاءَ الَّتِي فِي الْعَالَمِ. إِنْ أَحَبَّ أَحَدٌ الْعَالَمَ فَلَيْسَتْ فِيهِ مَحَبَّةُ الآبِ. لأَنَّ كُلَّ مَا فِي الْعَالَمِ شَهْوَةَ الْجَسَدِ، وَشَهْوَةَ الْعُيُونِ، وَتَعَظُّمَ الْمَعِيشَةِ، لَيْسَ مِنَ الآبِ بَلْ مِنَ الْعَالَمِ. وَالْعَالَمُ يَمْضِي وَشَهْوَتُهُ، وَأَمَّا الَّذِي يَصْنَعُ مَشِيئَةَ الله فَيَثْبُتُ إِلَى الأَبَدِ» (1يوحنا 2: 15-17).

فمن الواجب ومن الأسلم لك أن تتسلَّح بسلاح الله الكامل، وتُمسك دوماً سيف الروح (أفسس 6: 17) لأنه أمضى من كل سيف ذي حدين، يخترق النفس والروح والمفاصل والمخاخ، ويميِّز أفكار القلب ونيّاته (عبرانيين 4: 12).

ثالثاً – نصائح أساسية للبناء

هناك تكلفة ونفقة كبيرة لبناء حياتك الإيمانية بناءً سليماً ولحربك المنتصرة. وأقدم لك النصائح التالية لتعاونك:

1 – اترُك كل ما لا يُرضي الله:

يُجرَّب البنّاء أن يبني ما يُرضي الناس، ويهتم أحياناً بأحكامهم ووُجهات نظرهم في ما يبنيه. لكن عليه أن يدرك أن رضى الرب على بناء حياته وحياة عائلته هو الأهم، «لا يَقْدِرُ أَحَدٌ أَنْ يَخْدِمَ سَيِّدَيْنِ، لأَنَّهُ إِمَّا أَنْ يُبْغِضَ الْوَاحِدَ وَيُحِبَّ الآخَرَ، أَوْ يُلازِمَ الْوَاحِدَ وَيَحْتَقِرَ الآخَرَ» (متى 6: 24).. فليكن شعارك: «لَوْ كُنْتُ بَعْدُ أُرْضِي النَّاسَ لَمْ أَكُنْ عَبْداً لِلْمَسِيحِ» (غلاطية 1: 10). اترُك كل ما تعلم أن الله يرفضه، وصلِّ كل يوم: «لِتَكُنْ أَقْوَالُ فَمِي وَفِكْرُ قَلْبِي مَرْضِيَّةً أَمَامَكَ يَا رَبُّ، صَخْرَتِي وَوَلِيِّي» (مزمور 19: 14).

2 – تدرَّج في البناء:

ابدأ بالقاعدة لتصل إلى القمة. لا تحاول أن تبني الدور الثالث قبل الدور الأول، بمعنى أنك يجب أن تبدأ بالقيام بالواجبات البسيطة، مهما كانت بسيطة، حتى لو كانت غسل أرجل إخوتك. «يُقَاوِمُ اللهُ الْمُسْتَكْبِرِينَ، وَأَمَّا الْمُتَوَاضِعُونَ فَيُعْطِيهِمْ نِعْمَةً» (يعقوب 4: 6). لا تفكِّر في العظائم، بل كُن متواضعاً؛ «وَأَنْتَ فَهَلْ تَطْلُبُ لِنَفْسِكَ أُمُوراً عَظِيمَةً؟ لاَ تَطْلُبْ!» (إرميا 45: 5). «غَيْرَ مُهْتَمِّينَ بِالأُمُورِ الْعَالِيَةِ بَلْ مُنْقَادِينَ إِلَى الْمُتَّضِعِينَ. لا تَكُونُوا حُكَمَاءَ عِنْدَ أَنْفُسِكُمْ» (رومية 12: 16). اخضع لصوت الله في كل ما يوجِّهك إليه، واسمح له أن يستخدمك حيث يريد، فيجهِّزك لعمل أكبر. ولا تنسَ أنك عندما تطيعه يكشف لك المزيد من إرادته، ويكلِّفك بخدمات متنوِّعة، ويقول لك: «نِعِمَّا (اختصار: نِعْم ما فعلت، بمعنى: أحسنْتَ) أَيُّهَا الْعَبْدُ الصَّالِحُ وَالأَمِينُ. كُنْتَ أَمِيناً فِي الْقَلِيلِ فَأُقِيمُكَ عَلَى الْكَثِيرِ» (متى 25: 21).

3 – توقَّع المقاومة:

كلما ارتفع بناؤك تصبح عرضةً لمقاومة الرياح العاتية، فقد قال المسيح لتابعيه: «لأَنَّكُمْ لَسْتُمْ مِنَ الْعَالَمِ، بَلْ أَنَا اخْتَرْتُكُمْ مِنَ الْعَالَمِ، لِذَلِكَ يُبْغِضُكُمُ الْعَالَمُ.. إِنْ كَانُوا قَدْ حَفِظُوا كَلامِي فَسَيَحْفَظُونَ كَلامَكُمْ» (يوحنا 15: 19، 20). ولا تنسَ أنه «وُهِبَ لَكُمْ لأَجْلِ الْمَسِيحِ لا أَنْ تُؤْمِنُوا بِهِ فَقَطْ، بَلْ أَيْضاً أَنْ تَتَأَلَّمُوا لأَجْلِهِ» (فيلبي 1: 29).

4 – كُن متأكداً من النصرة:

هدف المؤمن هو تمجيد الله الذي يمدّ يد محبته بكل تأييد ومساندة، فيعلو البناء ويرتفع بالرغم من المعطلات والمقاومات. النصرة هي لك وأنت تبني حياتك وحياة عائلتك وكنيستك ومجتمعك، «لأَنَّ كُلَّ مَنْ وُلِدَ مِنَ اللهِ يَغْلِبُ الْعَالَمَ. وَهَذِهِ هِيَ الْغَلَبَةُ الَّتِي تَغْلِبُ الْعَالَمَ: إِيمَانُنَا» (1يوحنا 5: 4). «لِذَلِكَ لا نَفْشَلُ.. لأَنَّ خِفَّةَ ضِيقَتِنَا الْوَقْتِيَّةَ تُنْشِئُ لَنَا أَكْثَرَ فَأَكْثَرَ ثِقَلَ مَجْدٍ أَبَدِيّاً. وَنَحْنُ غَيْرُ نَاظِرِينَ إِلَى الأَشْيَاءِ الَّتِي تُرَى، بَلْ إِلَى الَّتِي لا تُرَى. لأَنَّ الَّتِي تُرَى وَقْتِيَّةٌ، وَأَمَّا الَّتِي لا تُرَى فَأَبَدِيَّةٌ» (2كورنثوس 4: 16–18).

سؤالان

1 – لماذا طالبنا المسيح بأن نحسب حساب النفقة؟

2 – ما معنى أن تتدرَّج في البناء؟

4 – امتياز الحكمة

مثل البنّاء الحكيم

«24 «فَكُلُّ مَنْ يَسْمَعُ أَقْوَالِي هَذِهِ وَيَعْمَلُ بِهَا، أُشَبِّهُهُ بِرَجُلٍ عَاقِلٍ، بَنَى بَيْتَهُ عَلَى الصَّخْرِ. 25 فَنَزَلَ الْمَطَرُ، وَجَاءَتِ الأَنْهَارُ، وَهَبَّتِ الرِّيَاحُ، وَوَقَعَتْ عَلَى ذَلِكَ الْبَيْتِ فَلَمْ يَسْقُطْ، لأَنَّهُ كَانَ مُؤَسَّساً عَلَى الصَّخْرِ. 26 وَكُلُّ مَنْ يَسْمَعُ أَقْوَالِي هَذِهِ وَلا يَعْمَلُ بِهَا، يُشَبَّهُ بِرَجُلٍ جَاهِلٍ، بَنَى بَيْتَهُ عَلَى الرَّمْلِ. 27 فَنَزَلَ الْمَطَرُ، وَجَاءَتِ الأَنْهَارُ، وَهَبَّتِ الرِّيَاحُ، وَصَدَمَتْ ذَلِكَ الْبَيْتَ فَسَقَطَ، وَكَانَ سُقُوطُهُ عَظِيماً!» (متى 7: 24–27).
(ورد هذا المثل أيضاً في لوقا 6: 46–49)

ألقى المسيح الموعظة على الجبل (إنجيل متى أصحاحات 5–7) بأسلوب وعظٍ يختلف عن أسلوب وعظ أهل زمانه الذين كانوا يعتمدون على النقل، شرح فيها بسلطانه الشخصي كل الجوانب التي تهمُّ المؤمن، فبدأ بوصف السعداء، ثم قدَّم شريعة العهد الجديد التي تكمِّل شريعة موسى ولا تنقضها.
والموعظة على الجبل هي دستور الحياة المسيحية، الذي يبدأ بضرورة فحص دواخل النفس (متى 5: 1–16)، فنرى إن كنا مساكين بالروح (متى 5: 3) نحس بفقرنا الروحي واحتياجنا الدائم إلى رحمة الله.. وإن كنا حزانى على خطايانا فيكرمنا الرب ويعزينا بغفرانها (متى 5: 4)، وهكذا.. في هذه الموعظة أعلن المسيح أنه لم يأتِ لينقض شريعة موسى بل ليكملها (5: 17–20).. ثم تحدَّث عن واجبات المؤمن به من نحو الناس، فقدَّم شريعة الصُّلح (متى 5: 21–26) وشريعة نقاوة القلب (5: 27–32) وشريعة الحق (5: 33–37) وشريعة الحب (5: 38–48) ثم علَّم عن واجباتنا من نحو الله في شريعة الصدقة (6: 1–4) وشريعة الصلاة (6: 5–15) وشريعة الصوم (6: 16–18). ثم واجباتنا من نحو المال (6: 19–34)، ومن نحو غيرنا من المؤمنين (7: 1–6)، ومن نحو انتظار استجابة الصلاة (7: 7–12)، ومن نحو الأبدية فندخل من الباب الضيق (7: 13، 14) ونحترس من الأنبياء الكذبة (7: 15–23).
ثم ختم المسيح موعظته على الجبل بمثَل البنّاء الحكيم الذي يبني على الصخر، وهو الذي يسمع كلمة الملكوت ويعمل بها، بالمفارقة مع الجاهل الذي يبني على الرمل، وهو الذي يسمع ولا يعمل. ومن المفرح أن نجد السامع العامل، ولكن من المؤسف أن نجد أيضاً أصحاب العبادة الكلامية، الذين يقتربون إلى الرب بأقوالهم، ويكرمونه بشفاههم، أما قلوبهم فبعيدة عنه (إشعياء 29: 13 ومتى 15: 8).. ويقول المسيح لكل البنّائين الحكماء: «أَنْتُمْ أَحِبَّائِي إِنْ فَعَلْتُمْ مَا أُوصِيكُمْ بِهِ» (يوحنا 15: 14). ويقول للبنّائين الجهَلة: «لِمَاذَا تَدْعُونَنِي: يَا رَبُّ يَا رَبُّ، وَأَنْتُمْ لا تَفْعَلُونَ مَا أَقُولُهُ؟» (لوقا 6: 46).

أولاً – أساسان وبناءان

خلق الله أبوينا الأوَّلين على صورته، وأسكنهما جنة عدن، ومنحهما إرادةً حُرَّة، ودبَّر لهما كل ما يساعدهما على حياة الطاعة، ولكنهما عصيا ربهما. ولما كان الله محبة فتَّش عليهما ودبَّر لهما الفداء، وأوضح لهما أن الكفارة هي السبيل الوحيد للخلاص، وأن هناك أساساً واحداً يصلح لبناء علاقة حيَّة مع الله، هو نسل المرأة الذي يسحق رأس الحية (تكوين 3: 15). وقد وصف الرسول بطرس هذا الأساس في قوله إنه المسيح «الْحَجَرُ الَّذِي احْتَقَرْتُمُوهُ أَيُّهَا الْبَنَّاؤُونَ، الَّذِي صَارَ رَأْسَ الزَّاوِيَةِ. وَلَيْسَ بِأَحَدٍ غَيْرِهِ الْخَلاصُ. لأَنْ لَيْسَ اسْمٌ

آخَرُ تَحْتَ السَّمَاءِ، قَدْ أُعْطِيَ بَيْنَ النَّاسِ، بِهِ يَنْبَغِي أَنْ نَخْلُصَ» (أعمال 4: 11، 12). وكل حكيم يبني على الأساس الوحيد السليم، أما الجاهل فهو الذي يختار لنفسه أساساً آخر دخيلاً زائفاً، ينهدم كل بناء يقوم عليه. فلنتأمل الأساسين والبنائين:

1 – بناء على أساس صخري:

والأساس الصخري هو الأساس الوحيد الذي يُقيم عليه الإنسان الحكيم بناء حياته. إنه المسيح وتعاليمه، لأنه «لا يَسْتَطِيعُ أَحَدٌ أَنْ يَضَعَ أَسَاساً آخَرَ غَيْرَ الَّذِي وُضِعَ، الَّذِي هُوَ يَسُوعُ الْمَسِيحُ» (1كورنثوس 3: 11). فكل وعود الغفران مبنيَّة على عمل المسيح الكفاري. هو المخلِّص والفادي، ويجب أن يكون سيد الحياة. وهو الحي الذي يقدِّم الفداء لكل إنسان، ويقول: «أَصْغَيْتُ إِلَى الَّذِينَ لَمْ يَسْأَلُوا. وُجِدْتُ مِنَ الَّذِينَ لَمْ يَطْلُبُونِي. قُلْتُ: هَئَنَذَا هَئَنَذَا لأُمَّةٍ لَمْ تُسَمَّ بِاسْمِي» (إشعياء 65: 1).

ويعلِّمنا مثَل البنّاء الحكيم أن تعاليم المسيح مُلزِمة، وعملية، وقابلة للتطبيق بمعونة الروح القدس. فليس الإنجيل مجرد أخبار تُسمع، بل أوامر تُنفَّذ، لأنه يأمرنا «تَعَالَوْا إِلَيَّ يَا جَمِيعَ الْمُتْعَبِينَ وَالثَّقِيلِي الأَحْمَالِ، وَأَنَا أُرِيحُكُمْ» (متى 11: 28). «إِنْ أَحَبَّنِي أَحَدٌ يَحْفَظْ كَلاَمِي» (يوحنا 14: 23). «يَنْبَغِي أَنْ يُصَلَّى كُلَّ حِينٍ وَلا يُمَلَّ» (لوقا 18: 1). «أَحِبُّوا أَعْدَاءَكُمْ. بَارِكُوا لاعِنِيكُمْ. أَحْسِنُوا إِلَى مُبْغِضِيكُمْ» (متى 5: 44). «اغْفِرُوا يُغْفَرْ لَكُمْ» (لوقا 6: 37). «ارْعَ خِرَافِي.. ارْعَ غَنَمِي» (يوحنا 21: 15، 16). «ثَبِّتْ إِخْوَتَكَ» (لوقا 22: 32). والحكيم هو الذي يعمل بهذه الأوامر، فيبني بيته على أساس سليم دائم لا يتزعزع.

احتضنت فتاةٌ أمَّها وقالت لها بابتسامة كبيرة: «ماما، أنا أحبك، وأنا مستعدة أن أطيع كل أمر تأمرينني به.. هل تحتاجين إلى شيء أذهب لأشتريه؟ هل أجهِّز مائدة الغداء؟ هل أذهب لأُحضر أخي من المدرسة؟».. هذه الفتاة أقامت بناءً عظيماً من ثقة أمها بها. ولو أن الأم مرضت ستكون متأكدة أن هناك من سيعتني بها وبعائلتها أثناء مرضها. كما بَنَت الفتاة ذكريات سعيدة عندها من نحو أمها، وعند أمها من نحوها. وما قالته هذه الفتاة لأمها يجب أن يقوله لله كل مؤمن حكيم، وينفِّذه. فلنكن عاملين بالكلمة، لا سامعين فقط خادعين نفوسنا (يعقوب 1: 22).

2 – بناء على أساس رملي:

الرمل هو الأساس المتسيِّب غير المتماسك، الذي لا يحتاج إلى مجهود في إقامة البناء عليه. إنه الأساس الذي يبني عليه من يقولون لله: «ابْعُدْ عَنَّا. وَبِمَعْرِفَةِ طُرُقِكَ لا نُسَرُّ» (أيوب 21: 14) «الَّذِينَ فِيهِمْ إِلَهُ هَذَا الدَّهْرِ قَدْ أَعْمَى أَذْهَانَ غَيْرِ الْمُؤْمِنِينَ، لِئَلا تُضِيءَ لَهُمْ إِنَارَةُ إِنْجِيلِ مَجْدِ الْمَسِيحِ، الَّذِي هُوَ صُورَةُ اللهِ» (2كورنثوس 4: 4).

ويوضح هذا المثل أن الناس ينقسمون أمام أوامر المسيح إلى نوعين: حكيم مطيع مستعد لكل عمل صالح، وجاهل عاصٍ يقول في قلبه «لَيْسَ إِلَهٌ». ومن المؤسف أن هناك نقاط تشابه كثيرة بينهما، فكلاهما متديِّنان يتعبَّدان في بيت الله، وسمع كلاهما كلمات الموعظة على الجبل، ووصلهما نفس التعليم، وشعرا بحاجتهما إلى ضرورة البناء للاحتماء والاطمئنان، وكانت لكليهما فرصة البناء على أساس صخري، وكانا قادرين على البناء، وقاما به حتى اكتمل، وكان كلٌّ منهما واثقاً من البناء الذي أقامه.

ولكنهما اختلفا في اختيار أساس البيت، وهو رغم أهميته ليس ظاهراً لمن ينظر من الخارج، لكن الله يراه «لأَنَّ الإِنْسَانَ يَنْظُرُ إِلَى الْعَيْنَيْنِ، وَأَمَّا الرَّبُّ فَإِنَّهُ يَنْظُرُ إِلَى الْقَلْبِ» (1صموئيل 16: 7). أخذ الحكيم في اعتباره أهمية الأساس، وأصرَّ أن يحفر ويعمِّق حتى يرتفع بأساس سليم. أما الجاهل فلم يهتمَّ بالعُمق، وكان متعجِّلاً يريد أن يرتفع بناؤه بسرعة.

اهتمَّ الجاهل بالمظهر الخارجي ليُرضي الناس، وهو ما ندعوه رياءً ونفاقاً. فقد فاق اهتمامه بالشكليات المنظورة اهتمامه بالتأسيس والتعميق الذي يؤهِّل للصمود. ولم يصفه المسيح بأنه شرير، بل سمّاه «جاهلاً» وهي تسمية تعبِّر عن الأسى عليه أكثر منها على الإدانة له. إنه شريك العذارى الجاهلات اللواتي ملأن مصابيحهن بالزيت ولكنهنَّ لم يعملن حساب تأخُّر العريس (متى 25: 1–13)، وهو شريك الغني الغبي الذي عمل حساب دنياه ونسي حساب آخرته (لوقا 12: 13–21)، ويشاركه كثيرون من الناس، ومنهم الأديب الأمريكي مارك توين الذي قال إن الآيات التي ضايقته من الكتاب المقدس لم تكن الآيات التي لم يفهمها، بل الآيات التي فهمها، لأنه لم يشأ أن يطبِّقها في حياته!

وواضحٌ من بناء الجاهل أن شخصيته متسرِّعة تحاول أن تأخذ بسرعة، فتفقد ما تحصل عليه بسرعة، إذ سرعان ما تظهر الشقوق الداخلية في حوائط البيت المؤسَّس على الرمل، فتهبط أرضيَّته وينهار سقفه في مواجهة العوامل الطبيعية عند نزول المطر ومجيء الأنهار وهبوب العواصف، فيسقط ويكون سقوطه مدوياً!

ثانياً – امتحان حتمي

«فَنَزَلَ الْمَطَرُ، وَجَاءَتِ الأَنْهَارُ، وَهَبَّتِ الرِّيَاحُ». هذه ثلاثة أمور لا مفرَّ من أن يواجهها كل بناء، ثبت أمامها البيت المبني على الصخر، وانهار أمامها البيت المبني على الرمل. وهي صعوبات تبيِّن معدن الإنسان، إن كان أساسه على الصخر أو على الرمل، وتُعلِن ثبات العاقل، وتفضح نفاق الجاهل. وواضح أن تعقُّل المؤمن لا يمنع إتيان الصعوبات عليه، لكن هذا التعقُّل يساعده على احتوائها، والثبوت أمامها.

1 – امتحان من السماء:

جاء الامتحان الأول في صورة مطر نزل من فوق، يضرب الرأس، ويجرف ما تحت القدمين، فيكشف الوجوه ويزيل أقنعة الزيف! وهو يرمز إلى التجارب التي يسمح الله لنا بها، كمرض أو أزمة مالية أو فشل في مجال العمل، ويقصد به أن يرفع أنظارنا إليه. والحكيم هو الذي يثبت في الامتحان، فإنه «طُوبَى لِلرَّجُلِ الَّذِي يَحْتَمِلُ التَّجْرِبَةَ، لأَنَّهُ إِذَا تَزَكَّى يَنَالُ «إِكْلِيلَ الْحَيَاةِ» الَّذِي وَعَدَ بِهِ الرَّبُّ لِلَّذِينَ يُحِبُّونَهُ» (يعقوب 1: 12). أما الجاهل فينهار أمام هذا الامتحان، لأنه جاهل غير مطيع.

كان رجل أعمال في بدء حياته قريباً من الرب جداً، ولكن شواغل العمل استغرقته حتى ابتعد عن الرب مدة أربعين سنة. وحدث أن أُصيب بمرض ألزمه الفراش، فرقد على ظهره مدة أربعين يوماً أتاحت له فرصةً إجبارية للتأمل والصلاة، فقال: «أربعون سنة ابتعدتُ فيها عن ربي، ولكنه في محبته فتش عليَّ ورفع وجهي إلى أعلى مدة أربعين يوماً. ونظرت، فلم أجد سواه، فدعوته: ربي وإلهي! وأدركت أن المرض الذي أصابني كان برهاناً على محبة الرب لي واهتمامه بي».

وامتحان السماء بركة دائمة للعاقل والجاهل، لأن الله لا يمتحن العقلاء ليفشِّلهم، بل ليقرِّبهم إليه أكثر وليزيدهم حكمة. وامتحان السماء للجهال هو إحدى الطرق التي يقرع بها المسيح باب قلوبهم ليتوبوا ويطلبوا وجهه، ولو أن أكثر الناس ساهون! كم من مرة يمنح الله الإنسان نجاحاً فيفرح بالعطية ولا يُعير المعطي الوهّاب انتباهاً، وهذا هو الهلاك الذي يُفسد في الظهيرة (مزمور 91: 6)، فيُنزل الرب مطره ليوقظ الإنسان لمسؤوليات حياته الأبدية، ويقول له: «الْيَوْمَ إِنْ سَمِعْتُمْ صَوْتَهُ فَلا تُقَسُّوا قُلُوبَكُمْ.. هُوَذَا الآنَ وَقْتٌ مَقْبُولٌ. هُوَذَا الآنَ يَوْمُ خَلاص» (عبرانيين 3: 15 و2كورنثوس 6: 2).

2 – امتحان من الأرض:

«جَاءَتِ الأَنْهَارُ» وهي ترمز إلى الأشرار من البشر حولنا، الذين يسخرون منّا أو يوقعون بنا الأذى. وقد تجيئنا الأنهار من أعدائنا أو من داخل عائلاتنا، كما باع أبناء يعقوب أخاهم يوسف عبداً لتُجّار قافلة مسافرة إلى مصر. ويصف المرنم الامتحان الأرضي الذي يجيئنا من المحيطين بنا بقوله: «أَكْثَرُ مِنْ شَعْرِ رَأْسِي الَّذِينَ يُبْغِضُونَنِي بِلا سَبَبٍ» (مزمور 69: 4). فإن كانت هناك بغضة بلا سبب، فكم تكون البغضة لو كان هناك سبب! وسواء كانت البغضة بسبب أو بغير سبب فإن الله يعلِّم العاقل أن يحتمي به أكثر، ويُلفت نظر الغافل الجاهل أن يطلب الحماية من الملجأ الوحيد، فيقول العاقل والجاهل معاً: «أُحِبُّكَ يَا رَبُّ يَا قُوَّتِي. الرَّبُّ صَخْرَتِي وَحِصْنِي وَمُنْقِذِي. إِلَهِي صَخْرَتِي بِهِ أَحْتَمِي. تُرْسِي وَقَرْنُ خَلاصِي وَمَلْجَإِي. أَدْعُو الرَّبَّ الْحَمِيدَ فَأَتَخَلَّصُ مِنْ أَعْدَائِي» (مزمور 18: 1-3).

3 - امتحان غامض:

«هَبَّتِ الرِّيَاحُ» وهي ترمز إلى الغامض المجهول الذي لا نعرف مصدره، ولا نتوقَّعه كالكوارث الطبيعية من فيضانات وزلازل وبراكين، فإن «اَلرِّيحَ تَهُبُّ حَيْثُ تَشَاءُ، وَتَسْمَعُ صَوْتَهَا، لَكِنَّكَ لا تَعْلَمُ مِنْ أَيْنَ تَأْتِي وَلا إِلَى أَيْنَ تَذْهَبُ» (يوحنا 3: 8). وقال الشاعر العربي «تأتي الرياح بما لا تشتهي السفن».

تدهمنا المصاعب كما دهمت أيوب، ولم يكن يعرف لها سبباً، لكنها برهنت أنه كان حكيماً بنى بيت إيمانه على صخر. ويتساءل المؤمن مع داود: «إِلَى مَتَى يَا رَبُّ تَنْسَانِي كُلَّ النِّسْيَانِ! إِلَى مَتَى تَحْجُبُ وَجْهَكَ عَنِّي! إِلَى مَتَى أَجْعَلُ هُمُوماً فِي نَفْسِي وَحُزْناً فِي قَلْبِي كُلَّ يَوْمٍ! إِلَى مَتَى يَرْتَفِعُ عَدُوِّي عَلَيَّ!» (مزمور 13: 1، 2). وتزيد المصاعب الغامضة المؤمن تمسُّكا بالرب، وفي الوقت نفسه تهدم بيت الجاهل على رأسه.

ثالثاً - نتيجتان

ارتفع بناءان، أحدهما بسرعة دون مراعاة لمواصفات البناء الهندسية، ودون اعتبار لقوة تحمُّل الأساس. وبُني الثاني بتأنٍّ. وراقب الناس البيتين يرتفعان. وربما صفَّقوا للبنّاء الذي ارتفع بناؤه بسرعة مع أنه بنى على الرمل فوق سطح الأرض، وربما انتقدوا الذي بنى ببطء، مع أنه حفر وعمَّق حتى وصل إلى الصخر. ولكن عندما جاءت ساعة الامتحان على البيتين ظهر الاختلاف في مصيرهما! «فَنَزَلَ الْمَطَرُ، وَجَاءَتِ الأَنْهَارُ، وَهَبَّتِ الرِّيَاحُ» ووقعت على البيتين، فثبت الأول لأنه كان مؤسساً على الصخر. أما الثاني فسقط وكان سقوطه عظيماً.

كم هو مؤلم أن يبني الإنسان ثم ينهدم بيته. لكننا نشكر الله المحب الذي لا يُسرُّ «بِمَوْتِ الشِّرِّيرِ، بَلْ بِأَنْ يَرْجِعَ الشِّرِّيرُ عَنْ طَرِيقِهِ وَيَحْيَا» (حزقيال 33: 11)، فهو «يُرِيدُ أَنَّ جَمِيعَ النَّاسِ يَخْلُصُونَ وَإِلَى مَعْرِفَةِ الْحَقِّ يُقْبِلُونَ» (1تيموثاوس 2: 4). إنه في محبته يقرع على باب الجاهل الذي بنى على الرمل منبِّهاً ومنذراً ليعطيه فرصة ثانية ليبني من جديد بطريقة حكيمة. ولعله يتعلم من الحكيم الذي بنى على الصخر.

فإن كنت إلى الآن تبني على الرمل، وتكتفي بمدح الناس، ولا تفكر في يوم الحساب، ندعوك للتوبة، ونذكِّرك بوعد المسيح: «مَنْ يُقْبِلْ إِلَيَّ لا أُخْرِجْهُ خَارِجاً» (يوحنا 6: 37). إنه يدعو أصحاب البيوت التي سقطت يوم الامتحان قائلاً: «إِلَى مَتَى أَيُّهَا الْجُهَّالُ تُحِبُّونَ الْجَهْلَ، وَالْمُسْتَهْزِئُونَ يُسَرُّونَ بِالاسْتِهْزَاءِ، وَالْحَمْقَى يُبْغِضُونَ الْعِلْمَ؟ ارْجِعُوا عِنْدَ تَوْبِيخِي. هَئَنَذَا أُفِيضُ لَكُمْ رُوحِي. أُعَلِّمُكُمْ كَلِمَاتِي» (أمثال 1: 22، 23). ثم يمنح صاحب البيت المنهدم فرصة إعادة البناء.

ولكي تكون نتيجة بنائنا مشرِّفة لننتبه للنقاط التالية:

1 - اهتم بالأساس:

أساس بنائك هو علاقتك الشخصية بالمسيح، والتي فيها تقول عنه «الَّذِي أَحَبَّنِي وَأَسْلَمَ نَفْسَهُ لأَجْلِي» (غلاطية 2: 20). وعلى هذا الأساس تثق أن المسيح غفر خطاياك وستر عيوبك، لأن «دَمَ يَسُوعَ الْمَسِيحِ ابْنِهِ يُطَهِّرُنَا مِنْ كُلِّ خَطِيَّةٍ» (1يوحنا 1: 7).

وكل من يقبل دعوة المسيح الشخصية «هَلُمَّ وَرَائِي» ويتجاوب معها يبني حياته على أساس سليم، كما فعل زكا العشار الذي كان قد بنى بيتاً أرضياً، وكان يمتلك ثروة كبيرة، ولكنه كان يعاني من فراغ روحي عظيم. ولما سمع أن المسيح آتٍ إلى بلده تسلَّق شجرة جميز ليراه، فقد كان قصير القامة. ورآه المسيح فدعا نفسه إلى بيت زكا. وعندما أعلن زكا توبته قال المسيح عنه: «الْيَوْمَ حَصَلَ خَلاصٌ لِهَذَا الْبَيْتِ، إِذْ هُوَ أَيْضاً ابْنُ إِبْرَاهِيمَ، لأَنَّ ابْنَ الإِنْسَانِ قَدْ جَاءَ لِكَيْ يَطْلُبَ وَيُخَلِّصَ مَا قَدْ هَلَكَ» (لوقا 19: 1–10).

2 – تأكد من سلامة البناء:

كُن متيقِّظاً وأنت تبني وتعلو، فإن إبليس سيحاول جاهداً أن يحوِّل اهتمامك إلى مشغوليات جانبية، تصرف نظرك عن أولوية بناء حياتك.. سيجرِّبك أن تتحارب مع جيرانك الذين يبنون على الصخر وعلى الرمل، وفي انشغالك بالاختلافات تتعوَّج حوائط مبناك . فلتكن صلاتك: «اخْتَبِرْنِي يَا اللهُ وَاعْرِفْ قَلْبِي. امْتَحِنِّي وَاعْرِفْ أَفْكَارِي. وَانْظُرْ إِنْ كَانَ فِيَّ طَرِيقٌ بَاطِلٌ، وَاهْدِنِي طَرِيقاً أَبَدِيّاً» (مزمور 139: 23، 24). اطلب من الله أن يعدِّل أي انحراف أو عوج أو انحناء في حياتك.

3 – أعطِ كل المجد للرب:

أعط الفضل لله صاحب الفضل، فكلما ارتفع بناؤك على أساسٍ سليم اعترف أن فضل القوة هو لله لا منك، فإنه «إِنْ لَمْ يَبْنِ الرَّبُّ الْبَيْتَ فَبَاطِلاً يَتْعَبُ الْبَنَّاؤُونَ. إِنْ لَمْ يَحْفَظِ الرَّبُّ الْمَدِينَةَ فَبَاطِلاً يَسْهَرُ الْحَارِسُ» (مزمور 127: 1). «هَكَذَا قَالَ الرَّبُّ: لا يَفْتَخِرَنَّ الْحَكِيمُ بِحِكْمَتِهِ، وَلا يَفْتَخِرِ الْجَبَّارُ بِجَبَرُوتِهِ، وَلا يَفْتَخِرِ الْغَنِيُّ بِغِنَاهُ. بَلْ بِهَذَا لِيَفْتَخِرَنَّ الْمُفْتَخِرُ: بِأَنَّهُ يَفْهَمُ وَيَعْرِفُنِي أَنِّي أَنَا الرَّبُّ الصَّانِعُ رَحْمَةً وَقَضَاءً وَعَدْلاً فِي الأَرْضِ، لأَنِّي بِهَذِهِ أُسَرُّ يَقُولُ الرَّبُّ» (إرميا 9: 23، 24).

سؤالان

1 – ما هو الامتحان الثلاثي الذي تجوزه بيوتنا الروحية؟

2 – ماذا كان يكون تعليقك وأنت تشاهد البيتين يعلوان بسرعتين مختلفتين؟ وما هو تعليقك بعد دراسة هذا المثل؟

5 – امتياز الثمر

مثل شجرة التين

«6 وَقَالَ هَذَا الْمَثَلَ: «كَانَتْ لِوَاحِد شَجَرَةُ تِينٍ مَغْرُوسَةٌ فِي كَرْمِهِ، فَأَتَى يَطْلُبُ فِيهَا ثَمَراً وَلَمْ يَجِدْ. 7 فَقَالَ لِلْكَرَّامِ: هُوَذَا ثَلاثُ سِنِينَ آتِي أَطْلُبُ ثَمَراً فِي هذِهِ التِّينَةِ وَلَمْ أَجِدْ. اقْطَعْهَا. لِمَاذَا تُبَطِّلُ الأَرْضَ أَيْضاً؟ 8 فَأَجَابَ: يَا سَيِّدُ، اتْرُكْهَا هذِهِ السَّنَةَ أَيْضاً، حَتَّى أَنْقُبَ حَوْلَهَا وَأَضَعَ زِبْلاً. 9 فَإِنْ صَنَعَتْ ثَمَراً، وَإِلا فَفِيمَا بَعْدُ تَقْطَعُهَا» (لوقا 13: 6–9).

مناسبة رواية المثل:

كان المسيح يلقي إحدى مواعظه عندما أخبره سامعوه أن بيلاطس الوالي قتل بعض أهل الجليل وخلط دماءهم بدماء ذبائحهم. ولعله فعل ذلك لأنهم ثاروا ضده، أو لعلهم رفضوا أن يدفعوا الجزية بحُجَّة أن الحاكم أجنبيّ عنهم في الجنسيَّة والدّين، فلا يحقُّ له أن يحكمهم ولا أن يتقاضى منهم جزية، وبحُجَّة أنهم لا يعترفون بملكٍ عليهم إلا الله. وفي ثورتهم احتموا داخل الهيكل، وأخذوا يقدِّمون ذبائحهم لله، وهم يعتقدون أن بيلاطس سيتردَّد في قتلهم لأنه سيراعي حُرمة الهيكل وقداسته. ولكن بيلاطس لم يحترم شعباً ولا هيكلاً، وأمر بقتلهم حيث هم داخل الهيكل، فسالت دماؤهم مختلطة بدماء ذبائحهم. وكان أهل الجليل مشهورين بأنهم أقل أهل فلسطين تحضُّراً، كما كانوا كثيري الثورات على الحكام وأقل خضوعاً لهم.

لم يبرِّر المسيح الجليليين الذين قُتلوا، ولا برَّر بيلاطس، لكنه أجاب إجابةً حكيمة وعميقة أوضحت أن آلام البشر لا تعني دائماً أنهم أشرار، كما أوضحت أن الله يطيل أناته على بعض الأشرار فلا يعاقبهم فوراً، ليعطيهم فرصة للتوبة. بل إن بعض الأشرار قد يحقِّقون نجاحاً علمياً وعملياً بينما يفشل بعض المؤمنين، كما اشتكى المرنم وقال: «غِرْتُ مِنَ الْمُتَكَبِّرِينَ، إِذْ رَأَيْتُ سَلامَةَ الأَشْرَارِ» (مزمور 73: 3).. وقال المسيح إن الله لم يسمح بقتل هؤلاء الجليليين لأنهم أكثر أهل الجليل شراً، ولكن لنتعلَّم من موتهم ضرورة التوبة، لأن الذين لا يتوبون لا بدَّ يهلكون. ثم إن طريقة موت الإنسان لا تحدِّد مصيره الأبدي، بل تحدده الطريقة التي يعيش بها.

ثم ذكر المسيح لسامعيه نموذجاً آخر من المصائب التي تحل بالبشر، ولكنها لا تعني أن الذين نزلت بهم أردأ حالاً من غيرهم، فذكر سقوط برجٍ في سلوام، خارج أسوار أورشليم على ثمانية عشر شخصاً فقتلهم. وقال إن هذا لا يعني أن هؤلاء القتلى كانوا أكثر من غيرهم شراً. ثم كرر نداءه بضرورة التوبة، وضرب مثَل التينة التي أعطاها صاحبها كل فرصة للإثمار، ثم طلب منها الثمر ولم يجده.. وهي مثَلٌ للبشر الذين يُنعم الله عليهم بكل ما يمكِّنهم من العمل الصالح، ولكنهم لا يفعلون إلا الخطايا.

لماذا اشتكوا للمسيح؟

ولعل سامعي المسيح رفعوا شكواهم له من بيلاطس وأخبروه بقتل الجليليين، لأنهم انتظروا منه أن يكون المخلِّص السياسي الآتي لينقذهم من نير الرومان. ولكنه دعاهم للتوبة لأن مملكته ليست من هذا العالم، بل هي روحية تسعى لتغيير حياة الناس.

أو لعلهم قدَّموا شكواهم له ليشرح لهم سرَّ ألم المؤمنين مع أنهم يقدِّمون ذبائحهم لله، وليوضِّح لهم لماذا نجح بيلاطس الشرير في قتل العابدين. ومشكلة الألم مشكلة كبيرة غامضة.

وربما أرادوا أن يناقشوا قضية فكرية تُبعِد عنهم نظرة المسيح الفاحصة. وعادةً عندما يخطئ الإنسان ويعذبه ضميره يهرب من الحديث المباشر عن صلته بالرب إلى حديثٍ فقهي عقائدي يبتعد به عن مواجهة نفسه الأمّارة بالسوء، كما فعلت المرأة السامرية عندما واجهها المسيح بأنها تعيش مع رجل ليس هو زوجها، فقالت له: «يَا سَيِّدُ، أَرَى أَنَّكَ نَبِيٌّ! آبَاؤُنَا سَجَدُوا فِي هَذَا الْجَبَلِ، وَأَنْتُمْ تَقُولُونَ إِنَّ فِي أُورُشَلِيمَ الْمَوْضِعَ الَّذِي يَنْبَغِي أَنْ يُسْجَدَ فِيهِ» (يوحنا 4: 19، 20) فأجابها إن المطلوب ليس مكان العبادة بل روح العابد، الذي يجب أن يعبد الرب بالروح والحق. وبهذا حوّل انتباهها إلى علاقتها الشخصية بالله.

أولاً – مع كل امتياز مسؤولية

كان لواحد شجرة تين مغروسة في كرمه، وكانوا يزرعون أشجار العنب عادةً على المنحدرات لتحصل على أكبر نسبة من التهوية والتعرُّض لأشعة الشمس. وقد وجدت شجرة التين (التي تحدَّث عنها المسيح في المثَل) كل ما تحتاجه من شمس ومن أكسجين، فتمتَّعت بكل امتياز طبيعي، وبكل عناية من الزارع وسط أشجار كرمه. ومع أن شجرة التين العادية تثمر بعد سنتين، إلا أن صاحب الكرم منح هذه الشجرة ثلاث سنوات قبل أن يطلب منها ثمراً، مما يعني أنه وفَّر لها كل ما يؤهِّلها للغرض من زرعها، وهو الإثمار.

ثم جاء صاحب الكرم وقال للكرام: «هُوَذَا ثَلاثُ سِنِينَ آتِي أَطْلُبُ ثَمَراً فِي هَذِهِ التِّينَةِ وَلَمْ أَجِدْ. اقْطَعْهَا. لِمَاذَا تُبَطِّلُ الأَرْضَ أَيْضاً؟». لقد أخذت هذه الشجرة وقتاً كافياً، وظروفاً مناسبة، وعناية كبيرة، ولكنها لم تثمر. أخذت ولم تعطِ، وخُدِمَت ولم تخدم، فعطَّلت الأرض وعطَّلت غيرها. والحُكم العادل عليها هو أن تُقطع، لأن مع كل امتياز مسؤولية، وكل من يأخذ ولا يعطي لا بد أن يموت، كالبحر «الميت». ولصاحب الكرم كل الحق أن يقطع ما لا يثمر، كما قال المسيح: «كُلُّ غُصْنٍ فِيَّ لا يَأْتِي بِثَمَرٍ يَنْزِعُهُ، وَكُلُّ مَا يَأْتِي بِثَمَرٍ يُنَقِّيهِ لِيَأْتِيَ بِثَمَرٍ أَكْثَرَ» (يوحنا 15: 2).

تحدَّث الله على فم النبي إشعياء أنه زرع كرماً من أفضل الأنواع على أكمة خصبة، ونزع الأشواك من حوله، وانتظر منه ثمراً، فنقر معصرة ليعصر فيها العنب الذي سينتجه. ولكن الكرم صنع عنباً رديئاً.. وتساءل الله: «مَاذَا يُصْنَعُ أَيْضاً لِكَرْمِي وَأَنَا لَمْ أَصْنَعْهُ لَهُ؟.. فَالآنَ أُعَرِّفُكُمْ مَاذَا أَصْنَعُ بِكَرْمِي.. أَجْعَلُهُ خَرَاباً.. وَأُوصِي الْغَيْمَ أَنْ لا يُمْطِرَ عَلَيْهِ مَطَراً» (إشعياء 5: 1–6).

ولا بد أن نسأل كل زوج وأب، وكل زوجة وأم، وكل ابن وابنة: لقد منحكم الله امتياز الوجود في عائلة، فهل أنتم مثمرون؟ هل يحب أفراد العائلة بعضهم بعضاً؟ هل يقدمون خدمة لمجتمعهم؟.. إن الله يفتِّش في حياتكم وعلاقاتكم: هل هي مثمرة؟ لا تنسوا أن الإنسان السعيد هو الذي يبدأ بالعطاء «مُتَذَكِّرِينَ كَلِمَاتِ الرَّبِّ يَسُوعَ أَنَّهُ قَالَ: مَغْبُوطٌ هُوَ الْعَطَاءُ أَكْثَرُ مِنَ الأَخْذِ» (أعمال 20: 35) وهو ما تحقَّقه القديس فرنسيس الأسيسي، فقال: «إننا في العطاء نأخذ».

ثانياً – يمنحنا الله فرصة ثانية

منح الله شجرة التين ثلاث سنوات لتثمر. وقال بعض المفسرين إن هذه السنوات الثلاث ترمز لثلاث مراحل من حياة الإنسان: مرحلة طفولته؛ وشبابه؛ وشيخوخته.. وقال القديس أغسطينوس إنها ترمز لثلاث مراحل من عمر البشرية: مرحلة الشريعة غير المكتوبة من آدم إلى موسى؛ ومرحلة الشريعة المكتوبة من موسى إلى المسيح؛ ومرحلة النعمة من عصر المسيح إلى نهاية الدهر.

عطَّلت التينة غير المثمرة الأرض، فقال العدل إنها يجب أن تُقطع، ولكن الرحمة قالت: «يَا سَيِّدُ، اتْرُكْهَا هَذِهِ السَّنَةَ أَيْضاً، حَتَّى أَنْقُبَ حَوْلَهَا وَأَضَعَ زِبْلاً. فَإِنْ صَنَعَتْ ثَمَراً (وهذا هو المرجو)، وَإِلا فَفِيمَا بَعْدُ تَقْطَعُهَا».. وواضحٌ أن الشفيع هو المسيح الذي يشفع في البشر، والذي قال: «لَمْ يُرْسِلِ اللهُ ابْنَهُ إِلَى الْعَالَمِ لِيَدِينَ الْعَالَمَ، بَلْ لِيَخْلُصَ بِهِ الْعَالَمُ» (يوحنا 3: 17).

وقد قبل الله توسُّلات خليله إبراهيم، عندما مثل أمام المولى يسأله العفو عن سدوم وعمورة، فوجد أن الله مستعد أن ينقذ المدينتين لو كان بهما عشرة أبرار (تكوين 18: 22–33). وقد أُبيدت المدينتان، لا لأن الله رفض توسُّلات خليله، ولكن لأن المدينتين كانتا خاليتين من عشرة أشخاص صالحين.

وقبل الله توسلات كليمه موسى وهو يطلب نجاة بني إسرائيل من الهلاك الشامل الذي كان الله سيوقعه بهم لأنهم عبدوا العجل، فصلى موسى: «قَدْ أَخْطَأَ هَذَا الشَّعْبُ خَطِيَّةً عَظِيمَةً وَصَنَعُوا لأَنْفُسِهِمْ آلِهَةً مِنْ ذَهَبٍ. وَالآنَ إِنْ غَفَرْتَ خَطِيَّتَهُمْ وَإِلا فَامْحُنِي مِنْ كِتَابِكَ الَّذِي كَتَبْتَ» (خروج 32: 31–33). وقبِل الله توسُّلات موسى، وغفر لشعبه.

فما أعظم رحمة الله التي تمنع عنّا ما نستحقه من عقاب، وما أمجد نعمته التي تمنحنا ما لا نستحقه من بركة. وفي كلمات الكرّام نسمع صوت الرحمة تمنع عن التينة غير المثمرة عقاباً تستحقه، وتمنحها فرصة ثانية عامرة بالعطاء والبركات، لا تستحقها في نفسها، ولكن لأجل تعب الكرام وجهده ومحبته لعمل يديه، وانتظاره لثمرٍ يفرح قلبه. وهذا ما يفعله الله معنا «وَهُوَ مَاتَ لأَجْلِ الْجَمِيعِ كَيْ يَعِيشَ الأَحْيَاءُ فِيمَا بَعْدُ لا لأَنْفُسِهِمْ، بَلْ لِلَّذِي مَاتَ لأَجْلِهِمْ وَقَامَ» (2كورنثوس 5: 15).. فلنسكن في دائرة محبة المسيح، ولنشبع به فنثمر.

بطَّلت التينة الأرض عندما امتصَّت العصارة ولم تثمر. ولكن الكرام رأى أن يمنحها فرصة ثانية، هي سنة كاملة، ثم أنعم عليها بنعمة التنقية في أن ينقب حولها ليرفع الأحجار التي تعطل امتداد الجذور، ولينزع الأشواك الضارة والحشائش التي تمتص غذاء التينة. ثم أنعم عليها بالمعونة الفائقة في أن يضع حولها زبلاً (وهو السماد الطبيعي القوي). فإن صنعَت ثمراً كان هذا خيراً لها ولصاحب الكرم. وهو ثمرٌ لا فضل لها فيه، لأنها تكون قد عملت المطلوب. وإن لم تثمر يُنفَّذ فيها حكم القطع الذي تستحقه.

يعطيك الرب دوماً فُرصاً للإثمار، ويهيئ لك جوّ العمل الصالح، فهو شمس البر الذي يشرق عليك بنوره ودفئه، وهو ماء الحياة الذي يروي عطشك في برية الحياة، وهو المن الذي يشبع جوعك فتثمر «لأَنَّ ثَمَرَ الرُّوحِ هُوَ فِي كُلِّ صَلاحٍ وَبِرٍّ وَحَقٍّ. مُخْتَبِرِينَ مَا هُوَ مَرْضِيٌّ عِنْدَ الرَّبِّ» (أفسس 5: 9 10). فإذا ضيَّعت الفرصة الأولى لا تتزعج، لأن الرب يريد أن يعطيك فرصة ثانية، ويتيح لك أيضاً معونته العظيمة لتثمر. «يَعُودُ يَرْحَمُنَا، يَدُوسُ آثَامَنَا، وَتُطْرَحُ فِي أَعْمَاقِ الْبَحْرِ جَمِيعُ خَطَايَاهُمْ» (ميخا 7: 19).

1 – لا بد أن ينقب الله حولك:

وهذا ينقي حياتك من معطلات النمو الروحي التي تمنع إتيانك بالثمر. وقد تزعزع عملية التنقية استقرارك، فهناك استقرار في ما تعوَّدنا أن نفعله، حتى إن كان خاطئاً ويقود إلى الهلاك. فقد تستقر بك الأحوال الاجتماعية، أو المالية، أو الصحية فتطمئن. وفي دفء هذا الاطمئنان تكتفي بالتمتع بالعطايا الموهوبة لك وتنسى الوهّاب، وتظن أنك حصلت عليها باجتهادك، لكن «لا بِالْقُدْرَةِ وَلا بِالْقُوَّةِ بَلْ بِرُوحِي قَالَ رَبُّ الْجُنُودِ» (زكريا 4: 6).. ينقب الرب حولك ليوقظك فتدرك أن الاستقرار الحقيقي هو عنده وحده. «كَمَا يُحَرِّكُ النَّسْرُ عُشَّهُ وَعَلَى فِرَاخِهِ يَرِفُّ، وَيَبْسُطُ جَنَاحَيْهِ وَيَأْخُذُهَا وَيَحْمِلُهَا عَلَى مَنَاكِبِهِ، هَكَذَا الرَّبُّ» (تثنية 32: 11، 12). وما أكثر المؤمنين الذين يتكلون على أنفسهم ويكتفون بحالهم ويرضون بما هم عليه، فيشبهون شعب موآب

«مُسْتَرِيحٌ مُوآبُ مُنْذُ صِبَاهُ وَهُوَ مُسْتَقِرٌّ عَلَى دُرْدِيِّهِ (ما ترسَّب منه أو عكَره)، وَلَمْ يُفْرَغْ مِنْ إِنَاءٍ إِلَى إِنَاءٍ، وَلَمْ يَذْهَبْ إِلَى السَّبْيِ. لِذَلِكَ بَقِيَ طَعْمُهُ فِيهِ وَرَائِحَتُهُ لَمْ تَتَغَيَّرْ (إلى ما هو أفضل)» (إرميا 48: 11).

ولا شك أن شجرة التين لم تكن مستريحة للنَّقب حولها، كما أن تأديب الأب لابنه لا يُفرح قلب الابن، و«كُلُّ تَأْدِيبٍ فِي الْحَاضِرِ لا يُرَى أَنَّهُ لِلْفَرَحِ بَلْ لِلْحَزَنِ. وَأَمَّا أَخِيراً فَيُعْطِي الَّذِينَ يَتَدَرَّبُونَ بِهِ ثَمَرَ بِرٍّ لِلسَّلامِ» (عبرانيين 12: 11).

2 – **يمدُّك الله بالمساندة:**

قال: «أَضَعُ زِبْلاً» سماداً يقوّي الشجرة غير المثمرة فتثمر. ويمدُّك الله بالنعمة التي تغذي وتقوي، وواضح أن الله يعطي المؤمن ما يعاونه في حياته الروحية، فإنه «مَنْ تَجَنَّدَ قَطُّ بِنَفَقَةِ نَفْسِهِ؟» (1كورنثوس 9: 7). وحين تتقوى حياة المؤمن الروحية تنعكس على تصرفاته، فلا يحب العالم، لأن «الْعَالَمَ يَمْضِي وَشَهْوَتَهُ، وَأَمَّا الَّذِي يَصْنَعُ مَشِيئَةَ الله فَيَثْبُتُ إِلَى الأَبَدِ» (1يوحنا 2: 17).ويساند الله المؤمن بصُحبته الكريمة، تحقيقاً لوعد المسيح: «أَنَا مَعَكُمْ كُلَّ الأَيَّامِ إِلَى انْقِضَاءِ الدَّهْرِ» (متى 28: 20).

* * *

إن كانت قد ضاعت منك الفرصة الأولى، اغتنم الفرصة الثانية التي تقدِّمها لك نعمةُ الله.. ولا تنسَ أن الفرصة الثانية لن تدوم إلى الأبد، فقد قال الله للخطّائين قبل الطوفان: «لا يَدِينُ رُوحِي فِي الإِنْسَانِ إِلَى الأَبَدِ» (تكوين 6: 3). «بَلْ إِنْ لَمْ تَتُوبُوا فَجَمِيعُكُمْ كَذَلِكَ تَهْلِكُونَ» (لوقا 13: 3، 5).

سؤالان

1 – اشرح هذه العبارة: «طريقة موت الإنسان لا تحدِّد مصيره الأبدي، بل تحدده الطريقة التي يعيش بها».

2 – علِّق على العبارة التالية: «الرحمة تمنع عنا ما نستحقه، والنعمة تمنحنا ما لا نستحقه».

6 – امتياز الصلاة
مثلا صديق نصف الليل والأرملة المُلحَّة

«5 ثُمَّ قَالَ لَهُمْ: «مَنْ مِنْكُمْ يَكُونُ لَهُ صَدِيقٌ، وَيَمْضِي إِلَيْهِ نِصْفَ اللَّيْلِ وَيَقُولُ لَهُ: يَا صَدِيقُ أَقْرِضْنِي ثَلاثَةَ أَرْغِفَةٍ، 6 لأَنَّ صَدِيقاً لِي جَاءَنِي مِنْ سَفَرٍ، وَلَيْسَ لِي مَا أُقَدِّمُ لَهُ. 7 فَيُجِيبَ ذَلِكَ مِنْ دَاخِلٍ وَيَقُولَ: لا تُزْعِجْنِي! اَلْبَابُ مُغْلَقٌ الآنَ، وَأَوْلادِي مَعِي فِي الْفِرَاشِ. لا أَقْدِرُ أَنْ أَقُومَ وَأُعْطِيَكَ. 8 أَقُولُ لَكُمْ: وَإِنْ كَانَ لا يَقُومُ وَيُعْطِيهِ لِكَوْنِهِ صَدِيقَهُ، فَإِنَّهُ مِنْ أَجْلِ لَجَاجَتِهِ يَقُومُ وَيُعْطِيهِ قَدْرَ مَا يَحْتَاجُ. 9 وَأَنَا أَقُولُ لَكُمُ: اسْأَلُوا تُعْطَوْا. اُطْلُبُوا تَجِدُوا. اقْرَعُوا يُفْتَحْ لَكُمْ. 10 لأَنَّ كُلَّ مَنْ يَسْأَلُ يَأْخُذُ، وَمَنْ يَطْلُبُ يَجِدُ، وَمَنْ يَقْرَعُ يُفْتَحُ لَهُ. 11 فَمَنْ مِنْكُمْ، وَهُوَ أَبٌ، يَسْأَلُهُ ابْنُهُ خُبْزاً، أَفَيُعْطِيهِ حَجَراً؟ أَوْ سَمَكَةً، أَفَيُعْطِيهِ حَيَّةً بَدَلَ السَّمَكَةِ؟ 12 أَوْ إِذَا سَأَلَهُ بَيْضَةً، أَفَيُعْطِيهِ عَقْرَباً؟ 13 فَإِنْ كُنْتُمْ وَأَنْتُمْ أَشْرَارٌ تَعْرِفُونَ أَنْ تُعْطُوا أَوْلادَكُمْ عَطَايَا جَيِّدَةً، فَكَمْ بِالْحَرِيِّ الآبُ الَّذِي مِنَ السَّمَاءِ، يُعْطِي الرُّوحَ الْقُدُسَ لِلَّذِينَ يَسْأَلُونَهُ» (لوقا 11: 5–13).

1 وَقَالَ لَهُمْ أَيْضاً مَثَلاً فِي أَنَّهُ يَنْبَغِي أَنْ يُصَلَّى كُلَّ حِينٍ وَلا يُمَلَّ: 2 «كَانَ فِي مَدِينَةٍ قَاضٍ لا يَخَافُ اللهَ وَلا يَهَابُ إِنْسَاناً. 3 وَكَانَ فِي تِلْكَ الْمَدِينَةِ أَرْمَلَةٌ. وَكَانَتْ تَأْتِي إِلَيْهِ قَائِلَةً: أَنْصِفْنِي مِنْ خَصْمِي. 4 وَكَانَ لا يَشَاءُ إِلَى زَمَانٍ. وَلَكِنْ بَعْدَ ذَلِكَ قَالَ فِي نَفْسِهِ: وَإِنْ كُنْتُ لا أَخَافُ اللهَ وَلا أَهَابُ إِنْسَاناً، 5 فَإِنِّي لأَجْلِ أَنَّ هَذِهِ الأَرْمَلَةَ تُزْعِجُنِي، أُنْصِفُهَا، لِئَلا تَأْتِيَ دَائِماً فَتَقْمَعَنِي». 6 وَقَالَ الرَّبُّ: «اسْمَعُوا مَا يَقُولُ قَاضِي الظُّلْمِ. 7 أَفَلا يُنْصِفُ اللهُ مُخْتَارِيهِ، الصَّارِخِينَ إِلَيْهِ نَهَاراً وَلَيْلاً، وَهُوَ مُتَمَهِّلٌ عَلَيْهِمْ؟ 8 أَقُولُ لَكُمْ إِنَّهُ يُنْصِفُهُمْ سَرِيعاً! وَلَكِنْ مَتَى جَاءَ ابْنُ الإِنْسَانِ، أَلَعَلَّهُ يَجِدُ الإِيمَانَ عَلَى الأَرْضِ؟» (لوقا 18: 1–8).

هذان مثلان من واقع الحياة، يعلِّماننا ضرورة الصلاة، وامتياز الالتجاء إلى الله وقت الضيق «فَلْنَتَقَدَّمْ بِثِقَةٍ إِلَى عَرْشِ النِّعْمَةِ لِكَيْ نَنَالَ رَحْمَةً وَنَجِدَ نِعْمَةً عَوْناً فِي حِينِهِ» (عبرانيين 4: 16). والمثلان متشابهان في المعنى، ويصفان الاحتياج الذي يُلجئ صاحبه إلى اللجاجة والإلحاح في الطلب بدون خجل بالرغم من الرفض، الأمر الذي قد يضايق المطلوب منه، ولكن الطالب ينال مراده.. في كل مثلٍ منهما نجد ثلاث شخصيات، اثنتان ظاهرتان على مسرح الأحداث، والثالثة كامنة في خلفية المثل.

في المثل الأول (مثل صديق نصف الليل) نجد ثلاثة أصدقاء: الزائر والمضيف والجار. الصديق الذي جاء، والصديق الذي احتاج، والصديق الذي أعطى. وهذه صورة مبهجة للضيافة الكريمة التي لا تجد ما تقدمه للضيف، فتلحُّ على صديق أن يعطي ما تكرم به الضيف، وتصف روعة الصداقة وأهميتها. ولذلك أوصانا الحكيم: «لا تَتْرُكْ صَدِيقَكَ وَصَدِيقَ أَبِيكَ.. الْجَارُ الْقَرِيبُ خَيْرٌ مِنَ الأَخِ الْبَعِيدِ» (أمثال 27: 10) .

ويقدِّم المثل الثاني (الأرملة المُلحَّة) ثلاث شخصيات: ظالماً لا نراه، وأرملة مظلومة وقاضياً ظالماً تطالبه بإنصافها، وتلحُّ عليه حتى ينصفها. وهذه صورة مؤلمة للظلم الإنساني.

يقول المثل الأول إن شخصاً وصل في نصف الليل إلى بيت صديقه طالباً الضيافة. وكان المسافرون يبدأون السفر عند انكسار حدَّة الحر، فيبلغون وُجهتهم في وقت متأخر. لهذا وصل الصديق إلى بيت صديقه في منتصف الليل، ففتح له ليستضيفه. ولكن صاحب البيت خجل لأنه لا يملك خبزاً يقدِّمه لضيفه، فقد كانت العادة أن يخبز أهل البيت كل صباح، خبز كل يومٍ بيومه. ولضرورة القيام بواجب الضيافة قصد المضيف بيت جارٍ له وطلب ثلاثة أرغفة: رغيفاً لإطعام الضيف، وآخر للمضيف ليؤاكله ويؤنسه من باب كرم الضيافة، وثالثاً

لملاك المائدة (حسب تعليم التلمود).. وكان سبب إلحاح المضيف في طلب ثلاثة أرغفة من جاره: أنه يطلب من صديق، وأنه لا يطلب لنفسه بل لصديق ثالث، ثم أنه يطلب الحدَّ الأدنى.

وكان أهل القرى يتركون أبواب بيوتهم مفتوحةً طول النهار، ولا يغلقونها إلا ليلاً، فلا يطرق الباب أحدٌ إلا للضرورة القصوى. وكان البيت العادي يتكوَّن من غرفة واحدة، لها باب واحد وكُوَّة واحدة. وكانوا يخصِّصون ثلث مساحة الغرفة للنوم والثلثين الآخَرين للدواجن والحيوانات. وكان أهل البيت ينامون متجاورين تحت غطاء واحد، فإذا استيقظ أحدٌ فإنه يُقلِق كل أهل البيت ودواجنهم وحيواناتهم!.. ولهذا حاول الجار أن يعتذر عن فتح الباب لصديقه الذي يطلب الأرغفة. ولكن إلحاح جاره اضطرَّه أن يقوم ويفتح ويعطيه طلبه ليُكرم ضيفه قبل أن يصحو كل الجيران! ولا بد أن زوجته وأولاده استيقظوا على كل حال!

ويقدِّم المثل الثاني (مثل الأرملة الملحَّة) أرملة مظلومة اضطرَّها الظلم للإلحاح في طلب الإنصاف. فقد اعتدى ظالمٌ عليها وليس لها من يدافع عنها. وعندما لجأت إلى القاضي اكتشفت أنه لا يحترم القوانين الأخلاقية، ولا يهتم بالرأي العام، بل إنه يعلن أنه لا يخاف الله ولا يهاب إنساناً. ولم يكن عندها ما ترشوه به، فلم يكن أمامها إلا أن تلحّ في الطلب، فظلت تلح على خلاف الرجاء، حتى تضايق وأنصفها ليتخلَّص من إلحاحها.

ربما يُضحكنا مثل «صديق نصف الليل» بمفاجآته، ولكن مثل «القاضي الظالم» يحزننا بشخصياته الظالمة والمظلومة.. ولكن المثلين يعلِّماننا أهمية الصلاة في كل حين بدون ملل.

مناسبة رواية المثَل:

روى المسيح مثل صديق نصف الليل لما طلب منه تلاميذه أن يعلِّمهم الصلاة، كما علَّم المعمدان تلاميذه. وخير تعليم هو تعليم المعلّم الذي يمارس ما يعلّمه. وكان التلاميذ قد رأوا المسيح يصلي بطريقة تختلف عن طريقة معلِّمي اليهود، الذين كانوا يصلّون ثلاث مرات يومياً، طاعة لوصية التلمود: «محظورٌ على الإنسان أن يصلي أكثر من ثلاث مرات في النهار، لأن الله يملُّ من الصلاة كل ساعة». وكان المعلمون اليهود يصلّون صلوات محفوظة، يؤدّونها في الشوارع ليراهم الناس. وكان اليهودي العادي متحفِّظاً في الحديث مع الله لخوفه من قداسته وعظمته.

أما المسيح فكان يصلي في أُنسٍ كامل بالله، ولأوقات طويلة، وباستمرار. صلى وقت معموديته فانفتحت السماء ونزل عليه الروح القدس بهيئة جسمية مثل حمامة (لوقا 3: 21)، وقيل عنه: «وَفِي الصُّبْحِ بَاكِراً جِدّاً قَامَ وَخَرَجَ وَمَضَى إِلَى مَوْضِعٍ خَلاءٍ، وَكَانَ يُصَلِّي هُنَاكَ» (مرقس 1: 35)؛ وكان يعتزل في البراري ويصلي (لوقا 5: 16)؛ وقضى الليل كله في الصلاة قبل أن يختار الاثني عشر تلميذاً (لوقا 6: 12)؛ وكان يصلي على انفراد (لوقا 9: 18)؛ وصلى على جبل التجلي (لوقا 9: 28، 29).

وإجابةً لطلب التلاميذ علَّمهم الصلاة الربانية (لوقا 11: 1–4)، ثم روى لهم مثَل صديق نصف الليل (آيات 5–8)، ثم أكَّد لهم استجابة الصلاة (آيتا 9، 10)، وأن الله أبٌ محب (آيات 11–13).. وبعد ذلك بوقت قصير ضرب لهم مثل القاضي الظالم ليشجعهم على الاستمرار في الصلاة.

والمعنى المقصود من المثلين أنه إن كانت اللجاجة جعلت النائم يصحو ويعطي، وجعلت الظالم يُنصف، فكم بالحري الله! إنه ينصف مختاريه الصارخين إليه نهاراً وليلاً. ويصوِّر المثلان المفارقة بين الصديق والقاضي الظالم من جهة، والله من جهة أخرى. فإن الله محسنٌ كريم، وهو ليس كالصديق الذي قال لصديقه إنه يزعجه، وليس كالقاضي الظالم الذي لم يتحرَّك إلا باللجاجة.

في هذين المثلين نجد المحتاج، ونسمع صلاته، ونرى استجابة الله له.

أولاً – احتياج شديد

في كل وقت يواجه كل البشر احتياجات، مثل المسافر المحتاج إلى مكان للمبيت وإلى طعام، ومثل صاحب البيت المحتاج للقيام بواجبات الضيافة من نحو ضيفه، ومثل الأرملة المظلومة التي تحتاج إلى العدالة. ويقول الله: «ادْعُنِي فِي يَوْمِ الضِّيقِ أُنْقِذْكَ فَتُمَجِّدَنِي» (مزمور 50: 15)، ويقول: «يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبُ لَهُ. مَعَهُ أَنَا فِي الضِّيقِ. أُنْقِذُهُ وَأُمَجِّدُهُ. مِنْ طُولِ الأَيَّامِ أُشْبِعُهُ، وَأُرِيهِ خَلاصِي» (مزمور 91: 15، 16)، ويقول: «وَيَكُونُ أَنِّي قَبْلَمَا يَدْعُونَ أَنَا أُجِيبُ، وَفِيمَا هُمْ يَتَكَلَّمُونَ بَعْدُ أَنَا أَسْمَعُ» (إشعياء 65: 24).

وقد علَّمنا المسيح أن نصلي الصلاة الربانية في قوله عنها: «مَتَى صَلَّيْتُمْ فَقُولُوا» (لوقا 11: 2) كما علَّمنا أن تكون نموذجاً لصلواتنا في قوله: «فَصَلُّوا أَنْتُمْ هَكَذَا» (متى 6: 9). وتُعلِّمنا الصلاة الربانية أن الله أبونا، وأننا أولاده، وفي شدة احتياجنا نتوجَّه إليه، فنرفع ثلاث طلبات خشوعية نبدأها بطلب تقديس اسمه بين البشر الذين يجب أن يهتفوا «قُدُّوسٌ قُدُّوسٌ قُدُّوسٌ رَبُّ الْجُنُودِ. مَجْدُهُ مِلْءُ كُلِّ الأَرْضِ» (إشعياء 6: 3)؛ ثم نطلب إتيان ملكوته بأن يملك على قلوبنا وقلوب كل البشر؛ ثم نطلب أن تنفذ مشيئته الصالحة على الأرض كما ينفذها الملائكة السمائيون. ونطلب منه طعام يومنا؛ وغفران خطايانا؛ ونصرتنا على التجارب.. ثم نختم صلاتنا بأن له المُلك، إذ يتقدَّس اسمه في أفكارنا وكلامنا وأفعالنا، ونعلن أن له القوة عندما يأتي ملكوته في قلوبنا وعلى عالمنا، ونعترف بأن له المجد عندما تتحقَّق مشيئته في الأرض كما هي محقَّقة في السماء.

وبسبب احتياج المؤمنين الدائم يجب أن يصلّوا بعضهم من أجل بعض، طاعةً للأمر الرسولي: «صَلُّوا بَعْضُكُمْ لأَجْلِ بَعْضٍ لِكَيْ تُشْفَوْا» (يعقوب 5: 16).. ويحتاج القادة والقسوس وخدام الله أكثر من غيرهم إلى العون الإلهي بسبب عملهم ومسؤولياتهم. فيجب أن يواظب الشعب على الصلاة من أجلهم، كما طالب الرسول بولس المؤمنين: «وَاظِبُوا عَلَى الصَّلاةِ سَاهِرِينَ فِيهَا بِالشُّكْرِ، مُصَلِّينَ فِي ذَلِكَ لأَجْلِنَا نَحْنُ أَيْضاً، لِيَفْتَحَ الرَّبُّ لَنَا بَاباً لِلْكَلامِ، لِنَتَكَلَّمَ بِسِرِّ الْمَسِيحِ» (كولوسي 4: 2–4).

ويعلِّمنا المثلان أنه ينبغي أن نكون دوماً في روح الصلاة، على صلة مستمرة بالرب، وفي حالة تعبُّد دائم كما قال داود: «أَمَّا أَنَا فَصَلاةٌ» (مزمور 109: 4)، وأن نتحدث إلى الله بانتظام، فقد قال المسيح: «يَنْبَغِي أَنْ يُصَلَّى كُلَّ حِينٍ وَلا يُمَلَّ» (لوقا 18: 1) وقال الرسول بولس: «صَلُّوا بِلا انْقِطَاعٍ» (1تسالونيكي 5: 17).

ويعلمنا المثلان أن نصلي بلجاجة، فنطلب بدون خجل رغم ما يبدو أحياناً أن استجابة صلاتنا مرفوضة.. لقد كانت لجاجة طالب الأرغفة أقوى تأثيراً من الصداقة، لأنها نجحت في ما لم تنفع فيه الصداقة، وكانت أقوى من كسل الجار الذي لم يكن يريد أن يستيقظ لئلا يوقظ أولاده النائمين، وكانت أقوى من ظلم القاضي.

ثانياً – طلب بلجاجة

كان الصديق يعلم أن لجاجته في الطلب ستوقظ جاره ليسعفه بالأرغفة المطلوبة، فألحَّ على جاره بسبب حَرَج موقفه أمام زائر نصف الليل، فنال ما طلب.. ولم يكن عند الأرملة وسيلة تحصل بها على الإنصاف عند القاضي الظالم إلا اللجاجة التي لا تقبل التراجع، فأنصفها. ولم ينَل المصليان في المثلين استجابة طلبهما لأن الطلب كان منطقياً، بل لأنهما ألحّا في الطلب، وأن الشخص الذي اتَّجها إليه هو الذي يملك حلَّ مشكلتهما.

ويعلم كل مؤمن أن الله صديق وأب، يعرف ما نحتاجه من قبل أن نسأله (متى 6: 8). كما يعلم أنه إله عادل ينصف المسكين ويحامي عن اليتيم والأرملة، فيدرك أن الله لا بد يستجيب الصلاة. وتقدم لنا كلمة الله نماذج

كثيرة لصلوات بلجاجة.. فقد صارع يعقوب مع الملاك قائلاً: «لا أُطْلِقُكَ إِنْ لَمْ تُبَارِكْنِي» (تكوين 32: 26) حتى باركه. وطلب موسى من الله أن يغفر خطايا الشعب الذي عبد العجل الذهبي، فاستجاب له وعفا عنهم (خروج 32: 31، 32).

وكل من يتأمل السيدة المؤمنة «حنَّة» وهي تصلي في الهيكل قد يظن أنها سكرانة (كما ظنَّ عالي الكاهن)، ولكن الله رأى مرارة نفسها وهي تلحُّ في الطلب، فاستجاب صلاتها وأعطاها ابناً هو صموئيل، فعادت به إلى كبير الكهنة تقول: «لأَجْلِ هَذَا الصَّبِيِّ صَلَّيْتُ فَأَعْطَانِيَ الرَّبُّ سُؤْلِيَ الَّذِي سَأَلْتُهُ مِنْ لَدُنْهُ. وَأَنَا أَيْضاً قَدْ أَعَرْتُهُ لِلرَّبِّ. جَمِيعَ أَيَّامِ حَيَاتِهِ هُوَ مُعَارٌ لِلرَّبِّ». فصار صموئيل رجلاً عظيماً لله (1صموئيل 1: 12-28).

ثالثاً – استجابة مفرحة

ونتعلَّم من مثلي صديق نصف الليل والقاضي الظالم ضرورة استجابة الصلاة، فقد قال المسيح تعليقاً على مثَل صديق نصف الليل: «اسْأَلُوا تُعْطَوْا. اُطْلُبُوا تَجِدُوا. اقْرَعُوا يُفْتَحْ لَكُمْ. لأَنَّ كُلَّ مَنْ يَسْأَلُ يَأْخُذُ، وَمَنْ يَطْلُبُ يَجِدُ، وَمَنْ يَقْرَعُ يُفْتَحُ لَهُ» (لوقا 11: 9، 10). وهذا يعني أن الله يحب العطاء، وهو لا ينزعج من طلباتنا ليلاً ونهاراً لأن الليل عنده مثل النهار، وهو يعطي دوماً بسخاء ولا يعيِّر (يعقوب 1: 5).. ثم قال المسيح: «فَمَنْ مِنْكُمْ، وَهُوَ أَبٌ، يَسْأَلُهُ ابْنُهُ خُبْزاً، أَفَيُعْطِيهِ حَجَراً؟ أَوْ سَمَكَةً، أَفَيُعْطِيهِ حَيَّةً بَدَلَ السَّمَكَةِ؟ أَوْ إِذَا سَأَلَهُ بَيْضَةً، أَفَيُعْطِيهِ عَقْرَباً؟ فَإِنْ كُنْتُمْ وَأَنْتُمْ أَشْرَارٌ تَعْرِفُونَ أَنْ تُعْطُوا أَوْلادَكُمْ عَطَايَا جَيِّدَةً، فَكَمْ بِالْحَرِيِّ الآبُ الَّذِي مِنَ السَّمَاءِ، يُعْطِي الرُّوحَ الْقُدُسَ لِلَّذِينَ يَسْأَلُونَهُ» (لوقا 11: 11-13).. لا يأس في الصلاة: اسأل. اطلُب. اقرع.

حقاً «طِلْبَةُ الْبَارِّ تَقْتَدِرُ كَثِيراً فِي فِعْلِهَا. كَانَ إِيلِيَّا إِنْسَاناً تَحْتَ الآلامِ مِثْلَنَا، وَصَلَّى صَلاةً أَنْ لا تُمْطِرَ، فَلَمْ تُمْطِرْ عَلَى الأَرْضِ ثَلاثَ سِنِينَ وَسِتَّةَ أَشْهُرٍ. ثُمَّ صَلَّى أَيْضاً فَأَعْطَتِ السَّمَاءُ مَطَراً وَأَخْرَجَتِ الأَرْضُ ثَمَرَهَا» (يعقوب 5: 16-18).

فإن كان الصديق يتوقَّع المعروف من صديقه، وإن كانت الأرملة المظلومة تتوقع الإنصاف من القاضي الظالم، ألا يجب على أولاد الله أن يتوقَّعوا أفضل الأشياء من أبيهم السماوي؟ ستنال خبزاً لا حجراً، وسمكة لا حيَّة، وبيضة لا عقرباً.. وفوق هذا كله ستنال ملء الروح القدس «لأَنَّ أَبَاكُمُ السَّمَاوِيَّ يَعْلَمُ أَنَّكُمْ تَحْتَاجُونَ إِلَى هَذِهِ كُلِّهَا. لَكِنِ اطْلُبُوا أَوَّلاً مَلَكُوتَ الله وَبِرَّهُ، وَهَذِهِ كُلُّهَا تُزَادُ لَكُمْ» (متى 6: 32، 33).

ونتعلم من المثلين أنه إن كان الصديق قد نجح في الحصول على ثلاثة أرغفة من إنسان مثله، فكم يمكننا أن ننجح في الحصول على ما نحتاجه من الله، الذي يحب أن يستجيب، وقد وعدنا بالاستجابة، كما أكد لنا المسيح: «إِنْ ثَبَتُّمْ فِيَّ وَثَبَتَ كَلامِي فِيكُمْ تَطْلُبُونَ مَا تُرِيدُونَ فَيَكُونُ لَكُمْ» (يوحنا 15: 7).

وقال المسيح تعليقاً على مثل القاضي الظالم: «أَفَلا يُنْصِفُ الله مُخْتَارِيهِ، الصَّارِخِينَ إِلَيْهِ نَهَاراً وَلَيْلاً، وَهُوَ مُتَمَهِّلٌ عَلَيْهِمْ؟ أَقُولُ لَكُمْ إِنَّهُ يُنْصِفُهُمْ سَرِيعاً!» (لوقا 18: 7، 8). فالإنصاف سريع من وُجهة نظر الله، لكنه يبدو أحياناً متأنياً من وُجهة نظر البشر، لأن حركة ساعة الله تختلف عن حركة ساعات البشر! والاستعجال أمر نسبي. وكلما نضج الإنسان صار أكثر قدرةً على الانتظار.. فلنستمر في الصلاة، ولنطرح عنا الشكوك، ولنثق في محبة الله التي تعطي الجميع بسخاء «مُلْقِينَ كُلَّ هَمِّكُمْ عَلَيْهِ لأَنَّهُ هُوَ يَعْتَنِي بِكُمْ» (1بطرس 5: 7).

وحين يبدو أن الله متمهِّلٌ في الاستجابة يكون هذا لحكمةٍ عنده، ولخُطَّة صالحة لمصلحتنا، لأن إرادته دائماً صالحة وكاملة، وأفكاره أسمى من أفكارنا. لقد تأخَّر المسيح في استجابة طلب الأختين مريم ومرثا، فوصل إلى بيت عنيا بعد موت لعازر بأربعة أيام. وكانت حكمة تأخيره أنه أراد أن يُجري معجزة إقامة من الموت،

ويعلن من خلالها أنه القيامة والحياة، وأن كل من يؤمن به وإن مات فسيحيا (يوحنا 11: 11، 35).. وتأخَّر المسيح في استجابة طلبة امرأة فينيقية طلبت منه شفاء ابنتها المريضة، ليس رفضاً منه لطلبها، بل ليُظهِر قوة إيمانها. وعندما ألحَّت في الطلب أعطاها سؤلها، وقال لها: «يَا امْرَأَةُ، عَظِيمٌ إِيمَانُكِ! لِيَكُنْ لَكِ كَمَا تُرِيدِينَ. فَشُفِيَتِ ابْنَتُهَا مِنْ تِلْكَ السَّاعَةِ» (متى 15: 28).

تأخير استجابة الصلاة:

1 – يتأخر الله علينا لنقيِّم احتياجنا:

هل حقاً نحتاج ما نطلبه؟ فما أكثر ما نطلب أشياء لا نحتاجها، لكننا فقط نريدها. وهناك فرقٌ بين ما تحتاج إليه وما ترغب في الحصول عليه، لأن في الاحتياج عوَز، لكن الرغبة تحب أن تحصل على المزيد. وما أجمل الحكمة في قول أحد المؤمنين: «السماء تُصرّ أن ترفض إعطاءنا ما لا نُصرُّ نحن على أخذه». فهل إذا تأخرت الاستجابة سنتوقَّف عن الطلب، أم سنستمر نسهر ونصلي؟ قال المسيح: «هَكَذَا مَلَكُوتُ اللهِ: كَأَنَّ إِنْسَاناً يُلْقِي الْبِذَارَ عَلَى الأَرْضِ، وَيَنَامُ وَيَقُومُ لَيْلاً وَنَهَاراً، وَالْبِذَارُ يَطْلُعُ وَيَنْمُو، وَهُوَ لا يَعْلَمُ كَيْف» (مرقس 4: 26، 27).. فهل نقوم ليلاً ونهاراً نصلي، منتظرين طلوع البذار ونموّه وإثماره؟

2 – تتأخر الاستجابة لنستمر في طلب الرب:

طلب الرب يقرِّبنا منه أكثر، كما أوصانا «يَا ذَاكِرِي الرَّبِّ لا تَسْكُتُوا وَلا تَدَعُوهُ يَسْكُتُ، حَتَّى يُثَبِّتَ وَيَجْعَلَ أُورُشَلِيمَ تَسْبِيحَةً فِي الأَرْضِ» (إشعياء 62: 6، 7). لا يريدنا الرب أن نأخذ ونجري، بل يحب أن يرانا ماثلين في حضرته، كما قال المرنم: «انْتِظَاراً انْتَظَرْتُ الرَّبَّ فَمَالَ إِلَيَّ وَسَمِعَ صُرَاخِي» (مزمور 40: 1).. ولا شك أن تأخير الاستجابة يعلِّمنا طول الأناة وانتظار الرب، فتتقوى حياتنا الروحية، كما قيل: «وَلَمَّا فَتَحَ الْخَتْمَ الْخَامِسَ، رَأَيْتُ تَحْتَ الْمَذْبَحِ نُفُوسَ الَّذِينَ قُتِلُوا مِنْ أَجْلِ كَلِمَةِ اللهِ وَمِنْ أَجْلِ الشَّهَادَةِ الَّتِي كَانَتْ عِنْدَهُمْ، وَصَرَخُوا بِصَوْتٍ عَظِيمٍ قَائِلِينَ: «حَتَّى مَتَى أَيُّهَا السَّيِّدُ الْقُدُّوسُ وَالْحَقُّ، لا تَقْضِي وَتَنْتَقِمُ لِدِمَائِنَا مِنَ السَّاكِنِينَ عَلَى الأَرْضِ؟» فَأُعْطُوا كُلُّ وَاحِدٍ ثِيَاباً بِيضاً، وَقِيلَ لَهُمْ أَنْ يَسْتَرِيحُوا زَمَاناً يَسِيراً أَيْضاً حَتَّى يَكْمَلَ الْعَبِيدُ رُفَقَاؤُهُمْ، وَإِخْوَتُهُمْ أَيْضاً، الْعَتِيدُونَ أَنْ يُقْتَلُوا مِثْلُهُمْ» (رؤيا 6: 9–11).

3 – وتتأخر الاستجابة حتى نفرح بالحصول على ما انتظرنا أن نحصل عليه:

كما قيل: «فَتَأَنَّوْا أَيُّهَا الإِخْوَةُ إِلَى مَجِيءِ الرَّبِّ. هُوَذَا الْفَلاحُ يَنْتَظِرُ ثَمَرَ الأَرْضِ الثَّمِينَ مُتَأَنِّياً عَلَيْهِ حَتَّى يَنَالَ الْمَطَرَ الْمُبَكِّرَ وَالْمُتَأَخِّرَ. فَتَأَنَّوْا أَنْتُمْ وَثَبِّتُوا قُلُوبَكُمْ، لأَنَّ مَجِيءَ الرَّبِّ قَدِ اقْتَرَبَ» (يعقوب 5: 7، 8).

4 – وتتأخر الاستجابة لأن الرب يريد أن يجيبها بطريقة أفضل مما طلبناها:

حين أُلقي يوسف الصدِّيق في الجب لا بدَّ أنه صلى أن يرقِّق الله قلوب إخوته عليه فيخرجونه من الجب ويعيدونه لأبيه. لكن الله تأنى في استجابة صلاته ليحييه ويحيي عائلته في سني الجوع، فأدرك أخيراً أن إخوته قصدوا به شراً، أما الرب فقصد بشرِّ إخوته خيراً ليحيي شعباً كثيراً (تكوين 50: 20). وقد تكرر الأمر مع الرسول بولس، فقال: «مِنْ جِهَةِ هَذَا (المرض) تَضَرَّعْتُ إِلَى الرَّبِّ ثَلاثَ مَرَّاتٍ أَنْ يُفَارِقَنِي» (2كورنثوس 12: 8). ولم يفارقه المرض، إلا أن الله استجاب له بطريقة أخرى، إذ منحه نعمةً رفعته، في قوله له: «تَكْفِيكَ نِعْمَتِي، لأَنَّ قُوَّتِي فِي الضَّعْفِ تُكْمَلُ» (2كورنثوس 12: 9).

فتعالوا نصلي في كل حين ولا نمل، لأن إلهنا يستجيب المصلي الذي يطلب وجهه. وهو ليس كالصَّديق المتضايق من الإلحاح، ولا مثل القاضي الظالم، لكنه المحب الألزق من الأخ (أمثال 18: 24) والعادل الذي يحب أن يعطي.

سؤالان

1 – اذكر وجه الاختلاف ووجه الشبَه بين الله من جانب، والصَّديق وقاضي الظلم من الجانب الآخر.

2 – اذكر نموذجاً من استجابة صلاة حدثت معك.

7 – امتياز الفرح
مثل العشاء العظيم

16 «إِنْسَانٌ صَنَعَ عَشَاءً عَظِيماً وَدَعَا كَثِيرِينَ، 17 وَأَرْسَلَ عَبْدَهُ فِي سَاعَةِ الْعَشَاءِ لِيَقُولَ لِلْمَدْعُوِّينَ: تَعَالَوْا لأَنَّ كُلَّ شَيْءٍ قَدْ أُعِدَّ. 18 فَابْتَدَأَ الْجَمِيعُ بِرَأْيٍ وَاحِدٍ يَسْتَعْفُونَ. قَالَ لَهُ الأَوَّلُ: إِنِّي اشْتَرَيْتُ حَقْلاً، وَأَنَا مُضْطَرٌّ أَنْ أَخْرُجَ وَأَنْظُرَهُ. أَسْأَلُكَ أَنْ تُعْفِيَنِي. 19 وَقَالَ آخَرُ: إِنِّي اشْتَرَيْتُ خَمْسَةَ أَزْوَاجِ بَقَرٍ، وَأَنَا مَاضٍ لأَمْتَحِنَهَا. أَسْأَلُكَ أَنْ تُعْفِيَنِي. 20 وَقَالَ آخَرُ: إِنِّي تَزَوَّجْتُ بِامْرَأَةٍ، فَلِذَلِكَ لا أَقْدِرُ أَنْ أَجِيءَ. 21 فَأَتَى ذَلِكَ الْعَبْدُ وَأَخْبَرَ سَيِّدَهُ بِذَلِكَ. حِينَئِذٍ غَضِبَ رَبُّ الْبَيْتِ، وَقَالَ لِعَبْدِهِ: اخْرُجْ عَاجِلاً إِلَى شَوَارِعِ الْمَدِينَةِ وَأَزِقَّتِهَا، وَأَدْخِلْ إِلَى هُنَا الْمَسَاكِينَ وَالْجُدْعَ وَالْعُرْجَ وَالْعُمْيَ. 22 فَقَالَ الْعَبْدُ: يَا سَيِّدُ، قَدْ صَارَ كَمَا أَمَرْتَ، وَيُوجَدُ أَيْضاً مَكَانٌ. 23 فَقَالَ السَّيِّدُ لِلْعَبْدِ: اخْرُجْ إِلَى الطُّرُقِ وَالسِّيَاجَاتِ وَأَلْزِمْهُمْ بِالدُّخُولِ حَتَّى يَمْتَلِئَ بَيْتِي، 24 لأَنِّي أَقُولُ لَكُمْ إِنَّهُ لَيْسَ وَاحِدٌ مِنْ أُولَئِكَ الرِّجَالِ الْمَدْعُوِّينَ يَذُوقُ عَشَائِي» (لوقا 14: 16–24).

(ورد مثل مشابه في متى 22: 1–14)

مناسبة رواية المثَل:

بلغت علاقة الفريسيين بالمسيح حدّاً بعيداً من الخلاف، بسبب اختلاط المسيح بالخطاة وقبوله لهم، ولأنه علَّم تعاليم مفرحة جديدة تخالف تعاليمهم المتزمِّتة المتجهِّمة، ومنها أنه كان يقوم بأعمال الرحمة في أيام السبوت فاتَّهموه بكسر وصية السبت.. ومع ذلك فقد دعا أحد الفريسيين المسيح ليتناول طعاماً في بيته، وقبل المسيح الدعوة لأنه وجدها فرصة مناسبة لتقديم تعليمه إلى من يحتاجونه.

ولعل الفريسي أراد أن يعبِّر للمسيح عن مشاعر التوقير والاحترام، وقد يكون أنه أراد أن يرى معجزة تُجرى في بيته، وربما أراد أن يستفتيه في قضية عقائدية، أو لعله أراد أن يكرم نفسه في عيون ضيوفه بأن يقدِّم لهم الواعظ الناصري ليسمعوه ويسألوه ويحاوروه، ونرجو ألاّ يكون قد دعاه ليوقعه في شَرَك.

ويبدو أن ضيوف الفريسي كانوا يراقبون المسيح ليشتكوا عليه. ووجد المسيح أمامه مريضاً مصاباً بالاستسقاء، ومن أعراض هذا المرض ورم الجسد بسبب احتباس الماء فيه. فسأل المسيح الحاضرين إن كان شفاء المريض حلالاً في يوم السبت، فلم يجاوبوه، فشفى المريض. ثم سألهم: «مَنْ مِنْكُمْ يَسْقُطُ حِمَارُهُ أَوْ ثَوْرُهُ فِي بِئْرٍ وَلاَ يَنْشِلُهُ حَالاً فِي يَوْمِ السَّبْتِ؟» (لوقا 14: 5) فلم يقدروا أن يجاوبوا سؤاله.. وهكذا أرسى المسيح قاعدة أن الرحمة تتفوَّق على الشريعة، وأن السبت «إِنَّمَا جُعِلَ لأَجْلِ الإِنْسَانِ، لا الإِنْسَانُ لأَجْلِ السَّبْتِ. إِذاً ابْنُ الإِنْسَانِ هُوَ رَبُّ السَّبْتِ أَيْضاً» (مرقس 2: 27، 28).

ولاحظ المسيح أن المدعوّين للطعام في بيت الفريسي يختارون المتكآت الأولى، وهي الأقرب إلى صدر المائدة، وهو مكان رب البيت، وعن يمينه يجلس ضيف الشرف. فعلَّمهم عن التواضع، وطالبهم بالاتكاء في المتَّكأ الأخير، حينئذ يقدمونهم إلى مكان أرفع.

ولاحظ أيضاً أن كل المدعوين من أصدقاء الداعي، فطلب منه أن يدعو الفقراء، والجُدع المشوَّهين، والعُرج والعمي، الذين لا يقدرون أن يكافئوا صاحب البيت، فيكافئه الرب في قيامة الأبرار.

ولا بد أن جو الوليمة توتَّر بعد تعليم المسيح هذا، فأراد أحد المتَّكئين أن يغيِّر الموضوع ليلطِّف جوَّ المكان، فعلَّق على حديث المسيح بقوله: «طُوبَى لِمَنْ يَأْكُلُ خُبْزاً فِي مَلَكُوتِ اللهِ». وقد عبَّر بهذا القول عن فكر اليهود

في أن ملكوت الله الذي يبدأ عند مجيء المسيّا المخلِّص المنتَظر سيكون ملكوتاً زمنياً، يبدأ باحتفال عظيم ووليمة دسمة، اعتماداً على تفسيرهم لنبوَّة إشعياء «وَيَصْنَعُ رَبُّ الْجُنُودِ لِجَمِيعِ الشُّعُوبِ فِي هَذَا الْجَبَلِ وَلِيمَةَ سَمَائِنَ، وَلِيمَةَ خَمْرٍ عَلَى دُرْدِيٍّ، سَمَائِنَ مُمِخَّةٍ، دُرْدِيٍّ مُصَفّىً» (إشعياء 25: 6).. تُرى هل سأل صاحب التعليق نفسه إن كان قد جهَّز قلبه لتلك الوليمة السماوية، وإن كان قد قبِل الدعوة لحضورها. وهل سأل نفسه: ما هي فائدة الوليمة الدسمة إن لم يكن قد قبِل الدعوة لحضورها؟.. لا شك أن صاحب التعليق لم يفهم طبيعة ملكوت الله، «لأَنْ لَيْسَ مَلَكُوتُ اللهِ أَكْلاً وَشُرْباً، بَلْ هُوَ بِرٌّ وَسَلاَمٌ وَفَرَحٌ فِي الرُّوحِ الْقُدُسِ» (رومية 14: 17). فروى المسيح له وللحاضرين مثل العشاء العظيم، وهو أن إنساناً عظيماً دعا كثيرين ليستعدوا لحضور وليمة عشاء، وأعلنهم بموعد الحفل. ويبدو أنهم قبلوا الدعوة مبدئياً، لأن صاحب الوليمة كرَّر لهم الدعوة ليخبرهم بحلول وقت العشاء. وكانت العادة أن صاحب الدعوة يذكِّر مدعوّيه بساعة العشاء قبل العشاء مباشرةً. ولكن المدعوّين استعفوا من الذهاب، وكأنهم اتفقوا على رفض الدعوة! قال واحد إنه اشترى حقلاً وهو مضطرٌّ أن يذهب ويراه. فكيف اشتراه دون أن يراه؟! وقال الثاني إنه اشترى خمسة أزواج بقر ويريد أن يمتحنها، فهل يمتحنها في الليل؟! وما الفائدة من امتحان أبقاره بعد شرائها؟! لقد كانا مشغولين بالعمل الذي يُعمي عيني صاحبه عن الأهم.. أما الثالث فقال إنه تزوَّج، ولا يقدر أن يذهب إلى العشاء. وكانت شريعة موسى تقول: «إِذَا اتَّخَذَ رَجُلٌ امْرَأَةً جَدِيدَةً، فَلا يَخْرُجْ فِي الْجُنْدِ، وَلا يُحْمَلْ عَلَيْهِ أَمْرٌ مَا. حُرّاً يَكُونُ فِي بَيْتِهِ سَنَةً وَاحِدَةً، وَيَسُرُّ امْرَأَتَهُ الَّتِي أَخَذَهَا» (تثنية 24: 5). وهذا يعني أن الشريعة تعفيه من المسؤوليات العسكرية نحو وطنه، والمسؤوليات العائلية نحو سبطه.

وقد شعر الأوَّلان بتقصيرهما، فطلبا أن يعفيهما صاحب الدعوة، بقولهما: «أَسْأَلُكَ أَنْ تُعْفِينِي». لكن الثالث لم يشعر بالتقصير، لأنه اعتمد على إعفاء الشريعة له، وقال: «لا أَقْدِرُ أَنْ أَجِيءَ».

وكان المفهوم، زمن رواية المثل، أنه إن رفض ملكٌ دعوة ملكٍ آخر فهذا يعني إعلان الحرب على الملك الداعي. وقد غضب الداعي على رافضي دعوته، بعد أن أعدَّ كل شيء، وأمر عبده أن يخرج إلى شوارع المدينة وأزقَّتها ليدعو المساكين من جُدع مشوَّهين، وعُرج وعُمي. ففعل العبد، وعاد يقول لسيده إن كل من دعاهم جاءوا، ولكن لا زال حول المائدة مكان. فأمره أن يخرج إلى السياجات حيث يسكن أفقر فقراء المدينة ليلحَّ عليهم ليحضروا للعشاء حتى يمتلئ بيته. وهكذا تمتَّع بالوليمة كل من قبل الدعوة، بينما خسرها المدعوّون الأوَّلون لأنهم رفضوها.

وواضحٌ أن المسيح قصد بمثَله هذا أن الله هو العظيم صاحب البيت، لأنه ضرب هذا المثل بعد القول: «طُوبَى لِمَنْ يَأْكُلُ خُبْزاً فِي مَلَكُوتِ اللهِ». وقصد بالوليمة الإيمان بالمسيح وقبول خلاصه، فالمسيح هو خبز الحياة، ومن يُقبِل إليه لا يجوع، ومن يؤمن به لا يعطش أبداً (يوحنا 6: 35). والاجتماع حول المسيح في بيت الآب يجمع الأحبّاء المبتهجين بالمصالحة مع الله، وبالغفران، وبمواعيد الله، وبتعزيات الروح القدس، وبرجاء الحياة الأبدية. وفي الالتفاف حول الوليمة تظهر محبة المسيح للمؤمنين، ومحبتهم له.

ومن المؤسف أن هناك من يرفضون الوليمة، رغم دعوتهم إليها. وقد قصد بهم المسيح قادة اليهود الذين رفضوه رغم معرفتهم بالكتب المقدسة التي تنبأت عنه، وكأنهم يقولون له: «ابْعُدْ عَنَّا. وَبِمَعْرِفَةِ طُرُقِكَ لا نُسَرُّ» (أيوب 21: 14). وقد ادَّعى هؤلاء القادة أنهم أول المدعوين لملكوت الله بعد أن دعاهم يوحنا المعمدان لقبول خلاص المسيح الذي هو حمل الله رافع خطية العالم (يوحنا 1: 29)، ولكنهم رفضوه وقالوا: «أَلَعَلَّ أَحَداً مِنَ الرُّؤَسَاءِ أَوْ مِنَ الْفَرِّيسِيِّينَ آمَنَ بِهِ؟» (يوحنا 7: 48)، ففتح الله باب وليمة خلاصه لكل البشر، من خطاة

ومضطهَدين ومهمَّشين ومرفوضين من المجتمع، وقال المسيح: «لَمْ آتِ لأَدْعُوَ أَبْرَاراً بَلْ خُطَاةً إِلَى التَّوْبَةِ.. لأَنَّ ابْنَ الإِنْسَانِ قَدْ جَاءَ لِكَيْ يَطْلُبَ وَيُخَلِّصَ مَا قَدْ هَلَكَ» (مرقس 2: 17 ولوقا 19: 10).

ملحوظة: روى المسيح «مثل العشاء العظيم» في بيت أحد الفريسيين في بداية خدمته، وروى مثلاً مشابهاً في مناسبة أخرى، أثناء تعليمه للفريسيين في أسبوع الآلام (متى 22: 1-14).

ونتعلم من هذا المثل عدة دروس:

أولاً – ملكوت الله وليمة

في هذا المثل أعلن المسيح أن قبول خلاصه ومُلكه على حياتنا يوم فرح ووليمة كالوليمة التي أُقيمت بمناسبة عودة الابن الضال من أرض ضلاله (لوقا 15: 23).. ليست المسيحية كئيبة فهي بشارة فرح أعلنها الملاك: «هَا أَنَا أُبَشِّرُكُمْ بِفَرَحٍ عَظِيمٍ يَكُونُ لِجَمِيعِ الشَّعْبِ: أَنَّهُ وُلِدَ لَكُمُ الْيَوْمَ فِي مَدِينَةِ دَاوُدَ مُخَلِّصٌ هُوَ الْمَسِيحُ الرَّبُّ» (لوقا 2: 10، 11). وليست المسيحية مخيفة تلوِّح بالعقاب، فهي ترفع راية المحبة والسلام وتفتح أبواب الرجاء أمام المتعَبين اليائسين الذين قبلوا تعليم المسيح الذي بدأ موعظته على الجبل بكلمة «طوبى» (يا لسعادة!) ووصف المطوَّبين أصحاب السعادة بأنهم المساكين بالروح والحزانى والودعاء والجياع والعطاش إلى البر والرحماء والأنقياء القلب وصانعو السلام والمضطهَدون من أجل البر (متى 5: 3-12). وكان يعلن دائماً ترحيب السماء وفرحها بالخاطئ التائب، وفرح الخاطئ التائب بتوبته وعودته إلى أحضان الله (لوقا 15). وأعلن المسيح قبوله للص التائب على الصليب (لوقا 23: 43). وكان تعليم المسيح الذي ينبِّر عن الملكوت المفرح مختلفاً عن وعظ المعمدان الذي نبَّر على دينونة الله، وأكَّد لأتباعه أنه لا يمكن لشيء أن يسلب فرح الملكوت منهم، ووعدهم: «اُطْلُبُوا تَأْخُذُوا، لِيَكُونَ فَرَحُكُمْ كَامِلاً» (يوحنا 16: 24).

وتحدَّث المسيح كثيراً عن أن ملكوت الله يشبه حفل عرس فقال: «يُشْبِهُ مَلَكُوتُ السَّمَاوَاتِ إِنْسَاناً مَلِكاً صَنَعَ عُرْساً لابْنِهِ» (متى 22: 2)، وقال: «يُشْبِهُ مَلَكُوتُ السَّمَاوَاتِ عَشَرَ عَذَارَى، أَخَذْنَ مَصَابِيحَهُنَّ وَخَرَجْنَ لِلِقَاءِ الْعَرِيسِ» (متى 25: 1). ويشبِّه سفر الرؤيا مجيء المسيح ثانية ليأخذ المؤمنين إليه بأنه حفل عرس، فيقول المؤمنون المستعدون لمجيئه ثانيةً: «لِنَفْرَحْ وَنَتَهَلَّلْ وَنُعْطِهِ الْمَجْدَ، لأَنَّ عُرْسَ الْحَمَلِ (المسيح حمل الله) قَدْ جَاءَ، وَامْرَأَتُهُ (الكنيسة) هَيَّأَتْ نَفْسَهَا» (رؤيا 19: 7).

قدَّم هذه الداعي الغني الكريم المحب دعوة لحضور وليمة الفرح، ولكن المدعوين كانوا غير مستحقين. في المرة الأولى وجَّه الدعوة للذين رفضوها بعد أن وعدوا بحضورها، لأنهم غافلون متكبِّرون. وفي سخائه لم يُلغِ العشاء، وأراد أن يشبَع به آخرون، فوجَّه الدعوة مَرَّةً ومرة لمدعوّين آخرين من كل مكان «وَلَكِنْ كَثِيرُونَ أَوَّلُونَ يَكُونُونَ آخِرِينَ، وَالآخِرُونَ أَوَّلِينَ» (مرقس 10: 31). ولم يكن الآخرون مستحقين ولا مستعدين، لأنهم فقراء من جُدع مشوَّهين، وعُرج وعُمي لم يكن يخطر على بالهم أن صاحب الوليمة سيدعوهم إليها! «مَا لَمْ تَرَ عَيْنٌ، وَلَمْ تَسْمَعْ أُذُنٌ، وَلَمْ يَخْطُرْ عَلَى بَالِ إِنْسَانٍ: مَا أَعَدَّهُ الله لِلَّذِينَ يُحِبُّونَهُ. فَأَعْلَنَهُ الله لَنَا نَحْنُ بِرُوحِهِ» (1كورنثوس 2: 9، 10).

تحمَّل الداعي كل التكلفة وقدَّم العشاء العظيم مجاناً، فوصلت دعوته إلى آدم ومعه كل البشر ليأكلوا من شجرة الحياة ويمتنعوا عن الأكل من «شجرة معرفة الخير والشر»، وهي الدعوة التي عصوها. ولكن المسيح يعد بها كل من يطيع، ويقول: «هَا أَنَا آتِي سَرِيعاً وَأُجْرَتِي مَعِي لأُجَازِيَ كُلَّ وَاحِدٍ كَمَا يَكُونُ عَمَلُهُ. أَنَا الأَلِفُ وَالْيَاءُ، الْبِدَايَةُ وَالنِّهَايَةُ، الأَوَّلُ وَالآخِرُ.. طُوبَى لِلَّذِينَ يَصْنَعُونَ وَصَايَاهُ لِكَيْ يَكُونَ سُلْطَانُهُمْ عَلَى شَجَرَةِ الْحَيَاةِ» (رؤيا 22: 12-14).. ثم وصلت نوحاً، ومعه كل العالم القديم ليحتموا بالفُلك، عندما قال الله: «هَا أَنَا آتٍ بِطُوفَانِ

الْمَاءِ عَلَى الأَرْضِ لأُهْلِكَ كُلَّ جَسَدٍ.. وَلَكِنْ أُقِيمُ عَهْدِي مَعَكَ، فَتَدْخُلُ الْفُلْكَ أَنْتَ وَبَنُوكَ وَامْرَأَتُكَ وَنِسَاءُ بَنِيكَ مَعَكَ» (تكوين 6: 17، 18).. ثم وصلت إبراهيم، ومعه كل الجنس المختار ليحتموا في عناية الخالق الفادي، عندما قال الله له: «اذْهَبْ مِنْ أَرْضِكَ وَمِنْ عَشِيرَتِكَ وَمِنْ بَيْتِ أَبِيكَ إِلَى الأَرْضِ الَّتِي أُرِيكَ. فَأَجْعَلَكَ أُمَّةً عَظِيمَةً وَأُبَارِكَكَ وَأُعَظِّمَ اسْمَكَ، وَتَكُونَ بَرَكَةً» (تكوين 12: 1، 2).. ولا تزال هذه الدعوة تتكرَّر اليوم للجميع ليؤمنوا بالمسيح المخلِّص وبعمله الكفاري لأجلهم: «تُوبُوا وَلْيَعْتَمِدْ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْكُمْ عَلَى اسْمِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ لِغُفْرَانِ الْخَطَايَا، فَتَقْبَلُوا عَطِيَّةَ الرُّوحِ الْقُدُسِ» (أعمال 2: 38).

أُرسلت دعوة العشاء العظيم مرتين: «يَقُولُ لِلْمَدْعُوِّينَ: تَعَالَوْا». وقد جاءت دعوة الله لمعاصري المسيح مرة على لسان المعمدان، والثانية بلسان المسيح. وهي تتكرَّر لنا اليوم من المسيح الواقف على باب قلوبنا يقرع ليُشبعنا بعشائه، قائلاً: «هَئَنَذَا وَاقِفٌ عَلَى الْبَابِ وَأَقْرَعُ. إِنْ سَمِعَ أَحَدٌ صَوْتِي وَفَتَحَ الْبَابَ، أَدْخُلُ إِلَيْهِ وَأَتَعَشَّى مَعَهُ وَهُوَ مَعِي» (رؤيا 3: 20)، فإن العشاء العظيم جاهز «كُلُّ شَيْءٍ قَدْ أُعِدَّ»، وعلى المدعوين أن يقبلوا الدعوة ليأكلوا.. وهو عشاء وفير و«يُوجَدُ أَيْضاً مَكَانٌ» «حَسَبَ كَرَمِ الْمَلِكِ» (أستير 1: 7) لكل من يقبل الدعوة.

وهناك ثلاثة أسباب على الأقل جعلت المسيح يقول إن الوليمة هي وليمة عشاء:

1 – العشاء هو الوجبة الرئيسية:

كان طعام الإفطار بسيطاً، يتناوله الإنسان بسرعة قبل أن يخرج إلى عمله، وكان الغداء بسيطاً وسريعاً يتناوله الإنسان في محل عمله. أما العشاء فكان الوجبة الرئيسية الدسمة، التي يجتمع فيها ربُّ الأسرة بأهل بيته. ويقدم الرب لنا أشهى وليمة روحية وصفها المرنم بالقول: «تُرَتِّبُ قُدَّامِي مَائِدَةً» (مزمور 23: 5). فهي مرتَّبة ووفيرة ودسمة، تشبعنا، فندعو آخرين معنا: «ذُوقُوا وَانْظُرُوا مَا أَطْيَبَ الرَّبَّ!» (مزمور 34: 8).

2 – يتناول الإنسان عشاءه مستريحاً بعد انتهاء عمل اليوم:

ويوجِّه صاحب العشاء دعوته لهذه الوجبة بعد أن يكون ضيوفه قد انتهوا من أعباء عمل يومهم.. إنها وجبة دسمة بعد عناء يوم عمل، وقد آن أوان الراحة الذي يدعونا المسيح إليه بقوله: «تَعَالَوْا إِلَيَّ يَا جَمِيعَ الْمُتْعَبِينَ وَالثَّقِيلِي الأَحْمَالِ، وَأَنَا أُرِيحُكُمْ» (متى 11: 28)، ففي حضرة المسيح تجد الراحة الكاملة.

3 – العشاء وليمة أُنس ومحبة:

كانت وجبة العشاء تسمح للضيوف أن يتحادثوا ويتسامروا ويستمتعوا بالوقت معاً دون أن يقلقهم شيء عاجل يجب أن يؤدّوه. وقد قصد المسيح أن العشاء العظيم ليس مجرد أكل وشرب، ولكنه أنس ومودَّة، يقول لنا الله فيه: «اسْتَمِعُوا لِي اسْتِمَاعاً وَكُلُوا الطَّيِّبَ، وَلْتَتَلَذَّذْ بِالدَّسَمِ أَنْفُسُكُمْ. أَمِيلُوا آذَانَكُمْ وَهَلُمُّوا إِلَيَّ. اسْمَعُوا فَتَحْيَا أَنْفُسُكُمْ. وَأَقْطَعَ لَكُمْ عَهْداً أَبَدِيّاً» (إشعياء 55: 2، 3).

واليوم يدعوك الرب لوليمة عشاء، فيها الشبع الحقيقي لحياتك، وفي قبولها تتمتَّع بالأُنس بالله الذي هو محبة. و«فِي هَذَا هِيَ الْمَحَبَّةُ: لَيْسَ أَنَّنَا نَحْنُ أَحْبَبْنَا الله، بَلْ أَنَّهُ هُوَ أَحَبَّنَا، وَأَرْسَلَ ابْنَهُ كَفَّارَةً لِخَطَايَانَا» (1يوحنا 4: 10).

ثانياً – الذين يرفضون الوليمة

قال رجل حكيم: «يفعل الناس في حياتهم الروحية ما لا يفعلونه أبداً في حياتهم اليومية». فعندما تُوجَّه لنا دعوة لحفل نقبلها، ولكن عندما يدعونا الله للتوبة والتمتُّع بالعشرة معه نتردد ونعتذر. ومساكين أولئك الذين لا يدركون مقدار ما يخسرونه روحياً عندما يرفضون الدعوة للعشاء الروحي العظيم.

كان اليهود أول المدعوين للوليمة، ولكنهم رفضوا الدعوة، فقُدِّمت للأمم، وقال المسيح لليهود: «إِنَّ مَلَكُوتَ اللهِ يُنْزَعُ مِنْكُمْ وَيُعْطَى لأُمَّةٍ تَعْمَلُ أَثْمَارَهُ» (متى 21: 43). واليهود في مثَل العشاء العظيم هم الأغنياء بشريعة موسى ومواعظ الأنبياء. وقد ظنوا أنفسهم أبراراً لأن عندهم شريعة لا توجد عند غيرهم، ومنهم الفريسي الذي افتخر بصلاحه، فرفض الله افتخاره بتقواه، وأعلن قبوله للعشار الخاطئ الذي صرخ: «اللَّهُمَّ ارْحَمْنِي أَنَا الْخَاطِئَ. فنَزَلَ إِلَى بَيْتِهِ مُبَرَّراً» (لوقا 18: 9–14). وما أكثر من يقولون مع ملاك كنيسة لاودكية: «إِنِّي أَنَا غَنِيٌّ وَقَدِ اسْتَغْنَيْتُ، وَلاَ حَاجَةَ لِي إِلَى شَيْءٍ». فقال المسيح له: «لَسْتَ تَعْلَمُ أَنَّكَ أَنْتَ الشَّقِيُّ وَالْبَائِسُ وَفَقِيرٌ وَأَعْمَى وَعُرْيَانٌ.. فَكُنْ غَيُوراً وَتُبْ» (رؤيا 3: 17، 19).

قدَّم الرافضون أعذاراً متنوِّعة سخيفة وواهية. ومن الغريب أن الناس مستعدون للاعتذار أكثر من استعدادهم لقبول دعوة الله.. اعتذر واحد بأنه اشترى حقلاً، ومشتري الحقل شغلته الماديات والممتلكات، وقال فيه القس إبراهيم سعيد إنه «في الحقيقة لم يشترِ الأرض، ولكنه باع نفسه للأرض»!.. واعتذر الثاني بأنه اشترى عشر بقرات، فشغلته التجارة والمعاملات.. والذي تزوَّج شغلته الأمور العاطفية.

وهناك عامل مشترك في كل هذه الاعتذارات التي قدَّمها المدعوّون الأوّلون، هو أن ملكوت الله كانت له المكانة الثانية في حياتهم، وفي حالة الشخصين الأوّلين جاء عملهما قبل ملكوت الله، وكانت العائلة عند الثالث أهم من الملكوت.. ولم يرفضوا لأسباب شريرة، فلا خطأ في شراء الأرض أو الأبقار، ولا عيب في الزواج. لكن الخطأ كان في ترتيب الأولويات ووضع أيٍّ من هذه قبل المسيح، فإن الحسن هو عدو الأحسن. ولم يشعر المعتذرون بقيمة الوليمة، ولا كانوا جائعين لها، لأنهم ظنوا أن الحقول والأبقار والاهتمامات العاطفية تشبع كل احتياجاتهم. لمثل هؤلاء يقول المسيح: «مَنْ أَحَبَّ أَباً أَوْ أُمّاً أَكْثَرَ مِنِّي فَلا يَسْتَحِقُّنِي، وَمَنْ أَحَبَّ ابْناً أَوِ ابْنَةً أَكْثَرَ مِنِّي فَلا يَسْتَحِقُّنِي، وَمَنْ لا يَأْخُذُ صَلِيبَهُ وَيَتْبَعُنِي فَلا يَسْتَحِقُّنِي» (متى 10: 37، 38).

ويعتذر بعض الناس اليوم عن عدم قبول دعوة الله المشبعة بأعذار واهية، فيقولون مثلاً إن من بين رجال الدين وروّاد الكنائس أشخاصاً سيئين، وهذا يبعدهم عن عبادة الله.. ولكن من يرفض الصحة لأن بعض الأطباء مرضى؟ ومن يحكم على موسيقى بيتهوفن أنها سيئة لأن عازفاً أساء عزفها؟

ويقول آخرون إن أمور الحياة تشغلهم بسبب غلاء المعيشة وكثرة المسؤوليات العائلية.. ولكن «مَاذَا يَنْتَفِعُ الإِنْسَانُ لَوْ رَبِحَ الْعَالَمَ كُلَّهُ وَخَسِرَ نَفْسَهُ؟ أَوْ مَاذَا يُعْطِي الإِنْسَانُ فِدَاءً عَنْ نَفْسِهِ؟» (متى 16: 26).

وما أرهب نتيجة الرفض، فإن صاحب الوليمة غضب وقال: «لَيْسَ أَحَدٌ مِنَ أُولَئِكَ الرِّجَالِ الْمَدْعُوِّينَ يَذُوقُ عَشَائِي».. وفي المثل المشابه الذي رواه المسيح في أسبوع الآلام قال إن عقوبة الذين رفضوا دعوة الملك كانت: «فَلَمَّا سَمِعَ الْمَلِكُ (باعتذاراتهم) غَضِبَ، وَأَرْسَلَ جُنُودَهُ وَأَهْلَكَ أُولَئِكَ الْقَاتِلِينَ وَأَحْرَقَ مَدِينَتَهُمْ» (متى 22: 7). أما المدعو الذي رفض أن يلبس الحُلَّة الملوكية فقد عاقبه الملك بقوله: «ارْبُطُوا رِجْلَيْهِ وَيَدَيْهِ، وَخُذُوهُ وَاطْرَحُوهُ فِي الظُّلْمَةِ الْخَارِجِيَّةِ. هُنَاكَ يَكُونُ الْبُكَاءُ وَصَرِيرُ الأَسْنَانِ» (متى 22: 13).

أليس غريباً أن يرفض الإنسان امتياز الشبع والأُنس والراحة، ويحصل على البكاء وصرير الأسنان والهلاك؟ «فَتُوبُوا وَارْجِعُوا لِتُمْحَى خَطَايَاكُمْ، لِكَيْ تَأْتِيَ أَوْقَاتُ الْفَرَجِ مِنْ وَجْهِ الرَّبِّ» (أعمال 3: 19).

ثالثاً – الذي يدعو للوليمة

ونتوقَّف عند شخصية هامة في المثل، هي شخصية العبد الذي أرسله سيده في ساعة العشاء ليقول للمدعوين: «تَعَالَوْا، لأَنَّ كُلَّ شَيْءٍ قَدْ أُعِدَّ» فذهب وقدَّم لهم الدعوة. ولا بد أن العبد تألم وتأسف عندما رفض المدعوون الأوَّلون الدعوة، ولكنه علم أن الرَّفض ليس موجَّهاً له بل لسيده «فَأَتَى ذَلِكَ الْعَبْدُ وَأَخْبَرَ سَيِّدَهُ بِذَلِكَ». فأصدر

السيد أمره مرة ثانية للعبد: «اُخْرُجْ عَاجِلاً إِلَى شَوَارِعِ الْمَدِينَةِ وَأَزِقَّتِهَا، وَأَدْخِلْ إِلَى هُنَا الْمَسَاكِينَ وَالْجُدْعَ وَالْعُرْجَ وَالْعُمْيَ». فأطاع دون أن يسأل إن كان مثل هؤلاء مستحقين أن يجلسوا على مائدة سيده. وعاد بعد أن دعاهم يقول لسيده: «يَا سَيِّدُ، قَدْ صَارَ كَمَا أَمَرْتَ، وَيُوجَدُ أَيْضاً مَكَانٌ». فعاد السيد يأمره ثالثةً: «اخْرُجْ إِلَى الطُّرُقِ وَالسِّيَاجَاتِ وَأَلْزِمْهُمْ بِالدُّخُولِ حَتَّى يَمْتَلِئَ بَيْتِي». ففعل بغير تردد!

وكل مؤمن ذاق حلاوة عشاء الرب، ونال خلاصه العظيم يصبح عبداً للرب، لأن المسيح اشترى من المؤمنين أنفسهم بفدائه الكريم، وله كل الحق أن يكلِّفهم بخدمته. وهم يفرحون بطاعة تكليفه لهم كل يوم، ويقومون فوراً بكل ما يطلبه منهم.

وعلى كل مؤمن أن يوصِّل دعوة الرب الخلاصية للمحيطين به قائلاً مع الرسول بولس: «الضَّرُورَةُ مَوْضُوعَةٌ عَلَيَّ، فَوَيْلٌ لِي إِنْ كُنْتُ لا أُبَشِّرُ» (1كورنثوس 9: 16).. هكذا فعل إشعياء النبي. لقد عرف أنه عبدٌ للرب. وعندما سمع دعوةً عامةً من الرب تقول: «مَنْ أُرْسِلُ، وَمَنْ يَذْهَبُ مِنْ أَجْلِنَا؟» عرف أن الدعوة موجَّهة إليه هو شخصياً، فأجاب: «هَئَنَذَا أَرْسِلْنِي» (إشعياء 6: 8). وكل مؤمن يعلم أنه عبدٌ للرب، كما قال الرسول بولس: « بُولُسُ، عَبْدٌ لِيَسُوعَ الْمَسِيحِ، الْمَدْعُوُّ رَسُولاً، الْمُفْرَزُ لإِنْجِيلِ الله» (رومية 1: 1)، لذلك قال: «إِذْ نَحْنُ عَالِمُونَ مَخَافَةَ الرَّبِّ نُقْنِعُ النَّاس.. إِذاً نَسْعَى كَسُفَرَاءَ عَنِ الْمَسِيحِ، كَأَنَّ الله يَعِظُ بِنَا. نَطْلُبُ عَنِ الْمَسِيحِ: تَصَالَحُوا مَعَ الله» (2كورنثوس 5: 11، 20).

دعونا نقبل دعوة العشاء العظيم فنشبع بخلاص المسيح المخلِّص، ثم ندعو الجميع ليشبعوا كما شبعنا، وليفرحوا كما فرحنا. «هَكَذَا قَالَ السَّيِّدُ الرَّبُّ: هُوَذَا عَبِيدِي يَأْكُلُونَ.. هُوَذَا عَبِيدِي يَشْرَبُونَ.. هُوَذَا عَبِيدِي يَفْرَحُون.. هُوَذَا عَبِيدِي يَتَرَنَّمُونَ مِنْ طِيبَةِ الْقَلْبِ» (إشعياء 65: 13، 14).

سؤالان

1 – ما هي المناسبة التي روى المسيح فيها مثل العشاء العظيم؟

2 – اشرح كيف تقوم بدور العبد كما تراه في مثَل العشاء العظيم.

8 – امتياز المجازاة

(أ) المجازاة للجميع – مثل الساعات المختلفة (متى 20: 1–16)

(ب) المجازاة للساهرين – مثل العذارى الحكيمات (متى 25: 1–13)

(ج) المجازاة للعاملين – مثل الوزنات (متى 25: 14–30)

8- امتياز المجازاة

(أ)المجازاة للجميع

مثل العاملين في ساعات مختلفة

«1 «فَإِنَّ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ يُشْبِهُ رَجُلاً رَبَّ بَيْتٍ خَرَجَ مَعَ الصُّبْحِ لِيَسْتَأْجِرَ فَعَلَةً لِكَرْمِهِ، 2 فَاتَّفَقَ مَعَ الْفَعَلَةِ عَلَى دِينَارٍ فِي الْيَوْمِ، وَأَرْسَلَهُمْ إِلَى كَرْمِهِ. 3 ثُمَّ خَرَجَ نَحْوَ السَّاعَةِ الثَّالِثَةِ وَرَأَى آخَرِينَ قِيَاماً فِي السُّوقِ بَطَّالِينَ، 4 فَقَالَ لَهُمُ: اذْهَبُوا أَنْتُمْ أَيْضاً إِلَى الْكَرْمِ فَأُعْطِيكُمْ مَا يَحِقُّ لَكُمْ. فَمَضَوْا. 5 وَخَرَجَ أَيْضاً نَحْوَ السَّاعَةِ السَّادِسَةِ وَالتَّاسِعَةِ وَفَعَلَ كَذَلِكَ. 6 ثُمَّ نَحْوَ السَّاعَةِ الْحَادِيَةَ عَشْرَةَ خَرَجَ وَوَجَدَ آخَرِينَ قِيَاماً بَطَّالِينَ، فَقَالَ لَهُمْ: لِمَاذَا وَقَفْتُمْ هَهُنَا كُلَّ النَّهَارِ بَطَّالِينَ؟ 7 قَالُوا لَهُ: لأَنَّهُ لَمْ يَسْتَأْجِرْنَا أَحَدٌ. قَالَ لَهُمُ: اذْهَبُوا أَنْتُمْ أَيْضاً إِلَى الْكَرْمِ فَتَأْخُذُوا مَا يَحِقُّ لَكُمْ. 8 فَلَمَّا كَانَ الْمَسَاءُ قَالَ صَاحِبُ الْكَرْمِ لِوَكِيلِهِ: ادْعُ الْفَعَلَةَ وَأَعْطِهِمُ الأُجْرَةَ مُبْتَدِئاً مِنَ الآخِرِينَ إِلَى الأَوَّلِينَ. 9 فَجَاءَ أَصْحَابُ السَّاعَةِ الْحَادِيَةَ عَشْرَةَ وَأَخَذُوا دِينَاراً دِينَاراً. 10 فَلَمَّا جَاءَ الأَوَّلُونَ ظَنُّوا أَنَّهُمْ يَأْخُذُونَ أَكْثَرَ. فَأَخَذُوا هُمْ أَيْضاً دِينَاراً دِينَاراً. 11 وَفِيمَا هُمْ يَأْخُذُونَ تَذَمَّرُوا عَلَى رَبِّ الْبَيْتِ 12 قَائِلِينَ: هَؤُلاءِ الآخِرُونَ عَمِلُوا سَاعَةً وَاحِدَةً، وَقَدْ سَاوَيْتَهُمْ بِنَا نَحْنُ الَّذِينَ احْتَمَلْنَا ثِقَلَ النَّهَارِ وَالْحَرَّ! 13 فَقَالَ لِوَاحِدٍ مِنْهُمْ: يَا صَاحِبُ، مَا ظَلَمْتُكَ! أَمَا اتَّفَقْتَ مَعِي عَلَى دِينَارٍ؟ 14 فَخُذِ الَّذِي لَكَ وَاذْهَبْ، فَإِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُعْطِيَ هَذَا الأَخِيرَ مِثْلَكَ. 15 أَوَمَا يَحِلُّ لِي أَنْ أَفْعَلَ مَا أُرِيدُ بِمَالِي؟ أَمْ عَيْنُكَ شِرِّيرَةٌ لأَنِّي أَنَا صَالِحٌ؟ 16 هَكَذَا يَكُونُ الآخِرُونَ أَوَّلِينَ وَالأَوَّلُونَ آخِرِينَ، لأَنَّ كَثِيرِينَ يُدْعَوْنَ وَقَلِيلِينَ يُنْتَخَبُونَ» (متى 20: 1-16).

مناسبة رواية المثل:

جاء شاب غني، كان رئيساً لأحد المجامع (كما يظهر من لوقا 18: 18)، وبحماسة وتواضع سجد أمام المسيح (كما يظهر من مرقس 10: 17). ولعله كان قد سمعه يقول: «أَتَيْتُ لِتَكُونَ لَهُمْ حَيَاةٌ وَلِيَكُونَ لَهُمْ أَفْضَلُ» (يوحنا 10: 10) فسأله: «أَيُّهَا الْمُعَلِّمُ الصَّالِحُ، أَيَّ صَلاحٍ أَعْمَلُ لِتَكُونَ لِيَ الْحَيَاةُ الأَبَدِيَّةُ؟».. فذكَّره المسيح ببعض الوصايا العشر التي لا بد أنه كسرها، حتى يُشعره بحاجته للتوبة التي توصِّله إلى الحياة الأبدية، فقال له: «لا تَقْتُلْ. لا تَزْنِ. لا تَسْرِقْ. لا تَشْهَدْ بِالزُّورِ. أَكْرِمْ أَبَاكَ وَأُمَّكَ، وَأَحِبَّ قَرِيبَكَ كَنَفْسِكَ». ولعله ظنَّ أن المطلوب هو معرفة الوصايا، كما أن ضميره لم يكن حسّاساً، فقال: «هَذِهِ كُلُّهَا حَفِظْتُهَا مُنْذُ حَدَاثَتِي. فَمَاذَا يُعْوِزُنِي بَعْدُ؟». فعاد المسيح يضع إصبعه على نقطة ضعف أخرى في حياة ذلك الشاب، لعله ينتبه إليها فيعترف بها ويتوب عنها، وقال له: «اذْهَبْ وَبِعْ أَمْلاكَكَ وَأَعْطِ الْفُقَرَاءَ، فَيَكُونَ لَكَ كَنْزٌ فِي السَّمَاءِ وَتَعَالَ اتْبَعْنِي». فَلَمَّا سَمِعَ الشَّابُّ الْكَلِمَةَ مَضَى حَزِيناً، لأَنَّهُ كَانَ ذَا أَمْوَالٍ كَثِيرَةٍ (متى 19: 16-22).

ولما سمع بطرس هذه الإجابة قارن نفسه بذلك الشاب، فرأى أنه أفضل منه، لأنه ترك شباك صيده وتبع المسيح ليصير صياداً للناس، فسأل المسيح: «هَا نَحْنُ قَدْ تَرَكْنَا كُلَّ شَيْءٍ وَتَبِعْنَاكَ. فَمَاذَا يَكُونُ لَنَا؟» فأجابه أن من يضحّي بأي شيء من أجله «يَأْخُذُ مِئَةَ ضِعْفٍ وَيَرِثُ الْحَيَاةَ الأَبَدِيَّةَ» (متى 19: 27، 29). ثم ضرب مثَل صاحب الكرم الذي استأجر فعلة ليعملوا في كرمه لساعات مختلفة، وفي نهاية اليوم منحهم جميعاً أجراً متساوياً، ليؤكد لسامعيه أن الأجر والحياة الأبدية يُعطَى لكل المؤمنين سواء كانوا أوّلين أم آخرين، وأنه لا يحقُّ لأحدٍ أن يدَّعي أنه يستحق الحياة الأبدية لأنه ضحى لأجل المسيح، أو لأنه أكثر من غيره عطاءً للرب.

في هذا المثل قال المسيح إن ملكوت السماوات يشبه صاحب الكرم الذي خرج في مطلع اليوم إلى السوق، حيث يتواجد الفَعَلة ليستأجر بعضهم. فوجد مجموعةً أرسلهم للعمل في كرمه، وقال لهم: «أُعْطِيكُمْ مَا يَحِقُّ لَكُمْ» (آية 4). وكان أجر العامل الذي يشتغل طيلة اليوم ديناراً واحداً. ولما كان محصول العنب قد نضج ووجب قطافه قبل موسم المطر، فقد احتاج صاحب الكرم إلى عمال آخرين كثيرين، فخرج في ذلك اليوم إلى السوق أربع مرات، في الساعة الثالثة والسادسة والتاسعة والحادية عشرة من النهار، وفي كل مرة وجد عُمّالاً لم يستأجرهم أحد، فطلب منهم أن يذهبوا للعمل في كرمه، ولم يتَّفق معهم على أجر. ولا بد أنهم توقَّعوا أجراً أقل من دينار، لأنهم لم يشتغلوا اليوم كله.

وكان يوم الأجير يبدأ من طلوع الشمس وينتهي بمغيبها. وكان اليهود يعتبرون شروق الشمس الساعة الأولى من النهار (السادسة صباحاً بتوقيتنا)، ويحسبون الغروب الساعة الثانية عشرة (السادسة مساءً بتوقيتنا)، فيكون أن صاحب الكرم استأجر عمالاً في الساعة السادسة والتاسعة صباحاً، والثانية عشرة ظهراً، والثالثة والخامسة بعد الظهر، بحسب توقيتنا. وعندما انتهى اليوم بغروب الشمس أعطى الجميع أجراً متساوياً، لا ظُلم فيه للأوّلين لأنه اتَّفق معهم على الأجر، وإنما فيه إنعام على المتأخرين.

أولاً – كل من يدعو الرب يخلُص

يعلِّمنا هذا المثَل أن كل الذين يقبلون دعوة الله في أي مرحلة من مراحل العمر متساوون في نوال خلاصه والحياة الأبدية، لأن «كُلُّ مَنْ يَدْعُو بِاسْمِ الرَّبِّ يَخْلُصُ» (يوئيل 2: 32 وأعمال 2: 21). ولم يتوقَّع أصحاب الساعة الحادية عشرة أن يأخذوا أجراً مساوياً للأجر الذي أخذه الذين اشتغلوا في الكرم أكثر منهم، ولكن إحسان صاحب الكرم منح الجميع بركته.. ويرجع هذا التساوي إلى أن خلاص نفوسنا لا يتوقَّف على ما نفعله نحن، بل على ما فعله المسيح لأجلنا على الصليب، فهو عطيةٌ وإنعامٌ منه، ومن عمله وحده. فإذا احتمينا بكفارته نخلُص «لأَنَّكُمْ بِالنِّعْمَةِ مُخَلَّصُونَ، بِالإِيمَانِ، وَذَلِكَ لَيْسَ مِنْكُمْ. هُوَ عَطِيَّةُ الله. لَيْسَ مِنْ أَعْمَالٍ كَيْلا يَفْتَخِرَ أَحَدٌ. لأَنَّنَا نَحْنُ عَمَلُهُ، مَخْلُوقِينَ فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ لأَعْمَالٍ صَالِحَةٍ، قَدْ سَبَقَ الله فَأَعَدَّهَا لِكَيْ نَسْلُكَ فِيهَا» (أفسس 2: 8–10).. «كُلُّ الَّذِينَ قَبِلُوهُ فَأَعْطَاهُمْ سُلْطَاناً أَنْ يَصِيرُوا أَوْلادَ الله، أَيِ الْمُؤْمِنُونَ بِاسْمِهِ. الَّذِينَ وُلِدُوا لَيْسَ مِنْ دَمٍ، وَلا مِنْ مَشِيئَةِ جَسَدٍ، وَلا مِنْ مَشِيئَةِ رَجُلٍ، بَلْ مِنَ الله» (يوحنا 1: 12، 13).

وبعد قبول دعوة الله لنا نجد أنفسنا تلقائياً نقوم بالأعمال الصالحة التي سبق فجهَّزها لنا لنعملها. فهو لا يُنعم علينا بالحياة الأبدية لأننا عملنا في كرمه، لكن لأننا قبلنا دعوته. أما عملنا في كرمه فهو ثمر إيماننا. وهو تشريف لا يشتري لنا خلاصنا، لكنه يبرهن أننا خلُصنا، لأنه «مِنْ ثِمَارِهِمْ تَعْرِفُونَهُمْ» (متى 7: 16، 20). و«مَتَى فَعَلْتُمْ كُلَّ مَا أُمِرْتُمْ بِهِ فَقُولُوا: إِنَّنَا عَبِيدٌ بَطَّالُونَ» (لوقا 17: 10).

وتساوي المؤمنين في الحصول على الحياة الأبدية لا يعني أنهم متساوون في الجزاء السماوي «لأَنَّ نَجْماً يَمْتَازُ عَنْ نَجْمٍ فِي الْمَجْدِ» (1كورنثوس 15: 41). صحيحٌ أن المسيح هو الأساس الواحد والوحيد الذي يبني عليه المؤمنون إيمانهم، ولكنهم يبنون هيكلهم الروحي بمواد مختلفة. البعض يبنون بمواد ذهبية وغيرهم بمواد فضية وغيرهم بحجارة كريمة، وغيرهم يبنون خشباً أو عشباً أو قشاً. وفي اليوم الأخير تمتحن النار الإلهية عمل كل واحد، ما هو. فإن بقي عمل أحد قد بناه على المسيح، الذي هو الأساس الواحد، يأخذ أجرة. أما من احترق عمله فسيخلُص، ولكنه سيخسر مكافأة العمل الصالح (1كورنثوس 3: 11–15). ولا شك أن الذي يقيم مبنى من ذهب ينال جزاءً سماوياً أفضل من الذي يبني بالقش.

ثانياً – تحذير من التذمُّر

عندما ساوى صاحب الكرم بين العاملين في كرمه تذمر الذين عملوا النهار كله، فقال لقائد المتذمِّرين: «أَمْ عَيْنُكَ شِرِّيرَةٌ لأَنِّي أَنَا صَالِحٌ؟». وهناك أسباب كثيرة تمنعنا من التذمر على صاحب الكرم:

1 – اهتمام الرب بكرمه:

وكرم الرب هو شعبه (إشعياء 5: 7). وهو يحتاج دوماً إلى فعَلة، ويكرمنا بأن يدعونا كل وقت للعمل فيه، كما أمرنا المسيح: «ارْفَعُوا أَعْيُنَكُمْ وَانْظُرُوا الْحُقُولَ إِنَّهَا قَدِ ابْيَضَّتْ لِلْحَصَادِ. وَالْحَاصِدُ يَأْخُذُ أُجْرَةً وَيَجْمَعُ ثَمَراً لِلْحَيَاةِ الأَبَدِيَّةِ، لِكَيْ يَفْرَحَ الزَّارِعُ وَالْحَاصِدُ مَعاً» (يوحنا 4: 35، 36). وكل من يعمل ينال أجراً سماوياً.

2 – ينال كل مَن يعمل أجراً:

فتَّش صاحب الكرم عن الفعلة. ويتنازل الرب ويدعو كل مستعدٍّ للعمل لديه ليتبارك العامل والعمل. إنه يدعو العاملين وأجرته معه ليجازي كل واحد.. وما أعظم الجزاء السماوي العادل لكل من يترك شيئاً ويضحي به في سبيل الله غير ناظر للمكافأة، وهو يقول: «إِنِّي أَحْسِبُ كُلَّ شَيْءٍ أَيْضاً خَسَارَةً مِنْ أَجْلِ فَضْلِ مَعْرِفَةِ الْمَسِيحِ يَسُوعَ رَبِّي، الَّذِي مِنْ أَجْلِهِ خَسِرْتُ كُلَّ الأَشْيَاءِ، وَأَنَا أَحْسِبُهَا نُفَايَةً لِكَيْ أَرْبَحَ الْمَسِيحَ» (فيلبي 3: 8). وما أسعد من يحترس، فلا يقول: «هَا نَحْنُ قَدْ تَرَكْنَا كُلَّ شَيْءٍ وَتَبِعْنَاكَ. فَمَاذَا يَكُونُ لَنَا؟» وكأن الله مديون له! ولا يجب أن نحسد إخوتنا الذين ينالون إنعامات أكثر منا، كما لم يكن يحقُّ للذين دُعُوا أولاً وتعبوا وقتاً طويلاً أن يطالبوا بجزاءٍ أكبر من جزاء الذين دُعُوا أخيراً وتعبوا وقتاً قصيراً، فإن الجزاء هو الحياة الأبدية لجميع من يقبل دعوة الله ويخدمه. وخلاص الله هو عطية لكل مؤمن.

3 – يعطي صاحب الكرم المتقدِّمين والمتأخرين فرصة:

يرحِّب الله بالخطاة التائبين الذين يقبلون دعوته، ويكافئهم بأن يمنحهم حياةً أبدية، حتى لو قبلوا دعوته في وقت متأخر من عمرهم.. نعم توجد فرصة للتوبة في كل لحظة من لحظات الحياة، فينال التائب أجراً سماوياً. يقبل بعض الناس دعوة التوبة في عمر الشباب، والبعض الآخر في مرحلة الرجولة، والبعض الثالث عندما يبلغون الشيخوخة، والبعض وهم على فراش الموت، فيقول المسيح لهم جميعاً: «لا تَضْطَرِبْ قُلُوبُكُمْ. أَنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللهِ فَآمِنُوا بِي. فِي بَيْتِ أَبِي مَنَازِلُ كَثِيرَةٌ» (يوحنا 14: 1، 2).

كان اللص المصلوب التائب من أصحاب الساعة الحادية عشرة، فقد أعلن توبته في اللحظات الأخيرة من حياته، وقال لزميله المصلوب معه: «أَوَلا أَنْتَ تَخَافُ الله، إِذْ أَنْتَ تَحْتَ هَذَا الْحُكْمِ بِعَيْنِهِ؟ أَمَّا نَحْنُ فَبِعَدْلٍ، لأَنَّنَا نَنَالُ اسْتِحْقَاقَ مَا فَعَلْنَا، وَأَمَّا هَذَا (المسيح) فَلَمْ يَفْعَلْ شَيْئاً لَيْسَ فِي مَحَلِّهِ». ثُمَّ قَالَ لِيَسُوعَ: «اذْكُرْنِي يَا رَبُّ مَتَى جِئْتَ فِي مَلَكُوتِكَ» لأن عيني إيمانه رأتا في المصلوب رباً صاحب ملكوت. فَقَالَ لَهُ يَسُوعُ: «الْحَقَّ أَقُولُ لَكَ: إِنَّكَ الْيَوْمَ تَكُونُ مَعِي فِي الْفِرْدَوْسِ» (لوقا 23: 40–43). وكان الفردوس للص التائب إنعاماً من الله لا يستحقُّه، لأنه كان يستحق الهلاك الأبدي «لأَنَّ أُجْرَةَ الْخَطِيَّةِ هِيَ مَوْتٌ، وَأَمَّا هِبَةُ الله فَهِيَ حَيَاةٌ أَبَدِيَّةٌ بِالْمَسِيحِ يَسُوعَ رَبِّنَا» (رومية 6: 23).

ولا شك أن كل لحظة من لحظات الحياة فرصة للتوبة، ولو أن أحد الحكماء قال إن 20+40 أفضل من 40+20، ولما سُئل: «كيف يكون هذا مع أن حاصل الجمع في الحالتين هو 60؟» أجاب: «عندما يتوب إنسان في عمر العشرين ويسير مع الله أربعين سنة، يكون أفضل حالاً من الإنسان الذي يتوب في عمر الأربعين، ويسير مع الله عشرين سنة، لأنه يكون قد عاش حياة أفضل وأسعد!». صدق الرجل الحكيم. لذلك يدعونا الوحي: «الْيَوْمَ إِنْ سَمِعْتُمْ صَوْتَهُ فَلا تُقَسُّوا قُلُوبَكُمْ.. هُوَذَا الآنَ وَقْتٌ مَقْبُولٌ. هُوَذَا الآنَ يَوْمُ خَلاص» (عبرانيين

3: 15 و2كورنثوس 6: 2). وما أحكم قول النبي إرميا: «جَيِّدٌ لِلرَّجُلِ أَنْ يَحْمِلَ النِّيرَ فِي صِبَاهُ» (مراثي 3: 27)، فاغتنِم الفرصة لتتوب وتخدم الله لتنال الأجر الآن قبل أن تنتهي أيام العمر.

ومن المؤسف أن بعض من يظنّون أنفسهم متقدِّمين يتذمَّرون على قبول الله للمتأخرين، كما تذمَّر يهود عصر المسيح عليه لما زار زكا العشار وأكل في بيته لأنه «دَخَلَ لِيَبِيتَ عِنْدَ رَجُلٍ خَاطِئٍ» (لوقا 19: 7)، لأنهم ظنّوا أنفسهم أصحاب الفرصة الأولى، ونسوا أن الرب يرحِّب بكل من يقبل دعوته ويعمل في كَرْمه، ويمنحه أجراً سماوياً، كما فرح الأب بعودة ابنه الضال، ولو أن ابنه الأكبر تذمَّر على أبيه لأنه استقبل أخاه الراجع من ضلاله، وأخذ يلومه على قبوله والاحتفاء بعودته (لوقا 15: 25–32).

4 – الآخِرون أوَّلون:

علَّق المسيح قبل رواية هذا المثل، وبعد أن رواه، بالقول: «وَلَكِنْ كَثِيرُونَ أَوَّلُونَ يَكُونُونَ آخِرِينَ وَآخِرُونَ أَوَّلِينَ.. هَكَذَا يَكُونُ الآخِرُونَ أَوَّلِينَ وَالأَوَّلُونَ آخِرِينَ» (متى 19: 30 و20: 16).. فهناك أولون في نظر أنفسهم وفي نظر الناس ولكنهم آخِرين في نظر الله. وهناك أوَّلون في وصول الدعوة إليهم، مثل بني إسرائيل، لكنهم صاروا آخِرين لأن الأمم سبقوهم إلى ملكوت الله (متى 21: 31 ويوحنا 1: 11، 12). وهناك أوَّلون في الفرصة الممنوحة لهم ليعرفوا الله مثل أهل الناصرة، ولكنهم كانوا آخِرين في نوال فوائد هذه المعرفة (متى 13: 54–58). وهناك أوَّلون في الغِنى والحصول على ممتلكات هذا العالم ولكنهم يكونون آخِرين في الحياة الأبدية، مثل الغني الذي لم يلتفت للعازر (لوقا 16: 19–25).

ثالثاً – تحذير من الكسل

سأل صاحب الكرم الفعَلة: «لِمَاذَا وَقَفْتُمْ هَهُنَا كُلَّ النَّهَارِ بَطَّالِينَ؟» (آية 6). ولا زال المسيح يسألنا اليوم هذا السؤال نفسه: «لماذا لا تعملون في كرمي؟». هذا سؤال مهم جداً لأن الوقت مقصَّر، فليس عند صاحب الكرم وقت يضيِّعه الفعلة العاطلون عن العمل، وهو الذي قال: «يَنْبَغِي أَنْ أَعْمَلَ أَعْمَالَ الَّذِي أَرْسَلَنِي مَا دَامَ نَهَارٌ. يَأْتِي لَيْلٌ حِينَ لا يَسْتَطِيعُ أَحَدٌ أَنْ يَعْمَلَ» (يوحنا 9: 4). إنه مستعجل في جمع محصوله قبل هطول الأمطار.

والحقيقة الواضحة هي أن الخطاة يمضون إلى مصيرهم الأبدي المحزن بينما المؤمنون يهتمون بما هو لأنفسهم. فلماذا لا يعملون بينما الاحتياج شديد؟ النفوس الموشكة على الهلاك تصرخ: «اعْبُرْ إِلَى مَكِدُونِيَّةَ وَأَعِنَّا!» (أعمال 16: 9)، ومؤمنون كثيرون لا يردّون، لأن بعضهم خاملون، وبعضهم مشغولون بتفاهات، وبعضهم أصحاب أولويات خاطئة، وبعضهم يقولون إن الناس غير جاهزين للأمور الروحية أو أنهم غير مهتمين بخلاص نفوسهم. وقد يعتذرون عن عدم الخدمة بحُجَّة أن المسؤولين في الكنيسة لم يعطوهم فرصة، وكأن قادة الكنيسة يقدرون أن يكمِّموا أفواه الناس فلا تشهد للمسيح.. مع أن الكرم واسع وجاهز للحصاد.

ولكن كم نشكر الله من أجل الفعلة الذين عندما سُئلوا: «لِمَاذَا وَقَفْتُمْ هُنَا؟» أطاعوا الدعوة فوراً. ومنذ وصولهم إلى الكرم عملوا بدون توقُّف، فنالوا أجرهم بالرغم من قِلَّة ساعات عملهم، لأن صاحب الكرم كريمٌ وصالح، لا يُطالب أحداً من فَعَلته بالمستحيل، فهو يعرف ظروفهم، وهو يطعم العاملين عنده ويكافئهم، ولا يوجد صاحب عمل أفضل ولا أكرم منه.

في هذا العالم يظلم أصحاب العمل عمّالهم أحياناً، فقد تقدِّم خدمةً لإنسان يتنكَّر لها، وقد تخدم إنساناً اليوم وقت حاجته فيتقاعس عن خدمتك وقت حاجتك، لأن البشر لا يكافئون إخوتهم البشر حقَّ مكافئتهم، بل إنهم قد يسيئون إليهم. أما الله فإنه لا يظلم أحداً، ويقول: «يَا صَاحِبُ، مَا ظَلَمْتُكَ! أَمَا اتَّفَقْتَ مَعِي عَلَى دِينَارٍ؟ فَخُذِ الَّذِي لَكَ وَاذْهَبْ، فَإِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُعْطِيَ هَذَا الأَخِيرَ مِثْلَكَ. أَوَمَا يَحِلُّ لِي أَنْ أَفْعَلَ مَا أُرِيدُ بِمَالِي؟». فما هو مال

الرب؟.. إنه الأرض وملؤها، والمسكونة والساكنون فيها، لأن له البهائم على الجبال الألوف، وهو يملك كل شيء (مزمور 50: 7–12).. إنها الآن ساعة لنعمل مع الله، ونقوم ونذهب إلى كرمه المتَّسع، وهو الكريم السخي الذي يدعو: «هَلُمَّ فَأُرْسِلُكَ» (خروج 3: 10)، وأجرته معه ليكافئ كل العاملين. فهيا بنا نعمل عمل الرب بدون رخاوة و«كُلُّ مَا تَجِدُهُ يَدُكَ لِتَفْعَلَهُ فَافْعَلْهُ بِقُوَّتِكَ» (جامعة 9: 10)، لأن الذين لا يعملون يدمِّرون مواهبهم، مثل الرجل الذي أخذ وزنته وطمرها، بينما كان يمكنه أن يستغلها (متى 25: 24).

تحدَّث قسيس في إحدى عظاته عن فلاح اشترى محراثين، شغَّل واحداً منهما فكان يلمع، وحفظ الثاني في مخزنه فعلاه الصدأ. وتأثرت سيدة مؤمنة مما سمعت، فقالت للقسيس: «أحتاج إلى مكنسة لأنظِّف غُرف مدرسة الأحد، وأحب أن أعرف أسماء المرضى في كنيستنا لأزورهم وأصلي معهم، لأني لا أريد أن أكون محراثاً صدئاً».. فلنطلب من الرب أن يجعلنا محاريث لامعة.

إن المؤمنين الذين لا يعملون يشبهون الفراشة التي تطير فخورة بألوانها الزاهية، أما الذين يعملون فيشبهون النحلة التي تطير لتجمع الرحيق لتصنع منه عسلاً مغذياً ومشبعاً. وينتظر الله منا أن تكون لنا التقوى الجميلة الزاهية الألوان، وأن نبرهن قوة عملها فينا بأن نكون بركة للآخرين. وكل من يخدم يحقِّق نفسه ويشبع قلبه، لأنه يرى نفوساً ترجع إلى الرب فيفرح، وتفرح معه النفوس التائبة وملائكة السماء.. والنفوس المحتاجة للرب كثيرة من حولنا.

ربما كنا مشغولين بأشياء كثيرة، ولكنها بالتأكيد أقل قيمة وأهمية من خدمة الرب. فدعونا نعمل في كرم الرب، فننال بركاته العظيمة جداً المذخَّرة لكل عامل مُخْلص. ولا زال صاحب الكرم ينادي: «اذهبوا أنتم أيضاً إلى الكرم فتأخذوا ما يحق لكم». فهيا اخدمه لتأخذ منه ما يحق لك «وَالْحَاصِدُ يَأْخُذُ أُجْرَةً وَيَجْمَعُ ثَمَراً لِلْحَيَاةِ الأَبَدِيَّةِ، لِكَيْ يَفْرَحَ الزَّارِعُ وَالْحَاصِدُ مَعاً» (يوحنا 4: 36).

سؤالان

1 – ما هو الأجر الذي يتساوى فيه كل العاملين في كرم الرب؟

2 – اشرح العبارة التالية: «كان اللص المصلوب التائب من أصحاب الساعة الحادية عشرة».

8- امتياز المجازاة
(ب) المجازاة للساهرين
مثل العذارى الحكيمات

«1 «حِينَئِذٍ يُشْبِهُ مَلَكُوتُ السَّمَاوَاتِ عَشَرَ عَذَارَى، أَخَذْنَ مَصَابِيحَهُنَّ وَخَرَجْنَ لِلِقَاءِ الْعَرِيسِ. 2 وَكَانَ خَمْسٌ مِنْهُنَّ حَكِيمَاتٍ، وَخَمْسٌ جَاهِلاتٍ. 3 أَمَّا الْجَاهِلاتُ فَأَخَذْنَ مَصَابِيحَهُنَّ وَلَمْ يَأْخُذْنَ مَعَهُنَّ زَيْتاً، 4 وَأَمَّا الْحَكِيمَاتُ فَأَخَذْنَ زَيْتاً فِي آنِيَتِهِنَّ مَعَ مَصَابِيحِهِنَّ. 5 وَفِيمَا أَبْطَأَ الْعَرِيسُ نَعَسْنَ جَمِيعُهُنَّ وَنِمْنَ. 6 فَفِي نِصْفِ اللَّيْلِ صَارَ صُرَاخٌ: هُوَذَا الْعَرِيسُ مُقْبِلٌ، فَاخْرُجْنَ لِلِقَائِهِ! 7 فَقَامَتْ جَمِيعُ أُولَئِكَ الْعَذَارَى وَأَصْلَحْنَ مَصَابِيحَهُنَّ. 8 فَقَالَتِ الْجَاهِلاتُ لِلْحَكِيمَاتِ: أَعْطِينَنَا مِنْ زَيْتِكُنَّ فَإِنَّ مَصَابِيحَنَا تَنْطَفِئُ. 9 فَأَجَابَتِ الْحَكِيمَاتُ: لَعَلَّهُ لا يَكْفِي لَنَا وَلَكُنَّ، بَلِ اذْهَبْنَ إِلَى الْبَاعَةِ وَابْتَعْنَ لَكُنَّ. 10 وَفِيمَا هُنَّ ذَاهِبَاتٌ لِيَبْتَعْنَ جَاءَ الْعَرِيسُ، وَالْمُسْتَعِدَّاتُ دَخَلْنَ مَعَهُ إِلَى الْعُرْسِ، وَأُغْلِقَ الْبَابُ. 11 أَخِيراً جَاءَتْ بَقِيَّةُ الْعَذَارَى أَيْضاً قَائِلاتٍ: يَا سَيِّدُ، يَا سَيِّدُ، افْتَحْ لَنَا. 12 فَأَجَابَ: الْحَقَّ أَقُولُ لَكُنَّ: إِنِّي مَا أَعْرِفُكُنَّ. 13 فَاسْهَرُوا إِذاً لأَنَّكُمْ لا تَعْرِفُونَ الْيَوْمَ وَلا السَّاعَةَ الَّتِي يَأْتِي فِيهَا ابْنُ الإِنْسَانِ» (متى 25: 1-13).

مناسبة رواية المثل:

دخل المسيح مدينة أورشليم يوم أحد السعف (الشعانين) كملك سلام راكباً على حمار، فهتفت له الجماهير: «أُوصَنَّا لابْنِ دَاوُدَ! (بمعنى: خلِّصنا) مُبَارَكٌ الآتِي بِاسْمِ الرَّبِّ! أُوصَنَّا فِي الأَعَالِي!» (متى 21: 9). ودخل الهيكل وطهَّره من الباعة والصيارفة، وهو يقول: «مَكْتُوبٌ: بَيْتِي بَيْتَ الصَّلاةِ يُدْعَى. وَأَنْتُمْ جَعَلْتُمُوهُ مَغَارَةَ لُصُوصٍ!» (متى 21: 13).. ثم وبَّخ المسيح نفاق قادة الدين اليهود، وقال لهم سبع مرات: «وَيْلٌ لَكُمْ» (متى 23: 14). وفي اليوم التالي دخل الهيكل وقال عنه: «إِنَّهُ لا يُتْرَكُ هَهُنَا حَجَرٌ عَلَى حَجَرٍ لا يُنْقَضُ!» فسأله التلاميذ: «مَتَى يَكُونُ هَذَا، وَمَا هِيَ عَلامَةُ مَجِيئِكَ وَانْقِضَاءِ الدَّهْرِ؟» (متى 24: 2، 3). فروى لهم علامات خراب أورشليم، ثم علامات مجيئه ثانية. وضرب لهم مثَلين: مثَل العذارى الحكيمات والجاهلات، ومثل المسافر الذي أعطى عبيده وزنات ليتاجروا بها.

وكان أول المثَلين عن حفل عرس، وهو مأخوذ من البيئة والعادات اليهودية، رواه المسيح ليوضح لسامعيه حقائق روحية سامية، فقال إن عشر عذارى كنَّ في بيت صديقة لهنَّ ستتزوَّج، مع كل واحدة منهنَّ مصباح. وحدث أن تأخر العريس فنعسن جميعهن ونمن، وانتهى زيت كل المصابيح. وكانت خمسٌ منهنَّ حكيمات جئن معهن بزيت إضافي يُبقي مصابيحهنَّ مضيئة إن تأخَّر العريس.. بينما اكتفت الخمس الأخريات (ويدعوهنَّ المسيح جاهلات) بما في مصابيحهنَّ من زيت، لأنهن كنَّ يترجَّين أن يأتي العريس مبكراً ومصابيحهن مضيئة. وأخيراً جاء العريس مع أصدقائه وهم يصيحون بابتهاج: «الْعَرِيسُ قَادِمٌ فَاخْرُجْنَ لِلِقَائِهِ». فاستيقظت العذارى العشر بسرعة، وأصلحن مصابيحهن لأن تشغيل المصباح كان يحتاج إلى تنظيف، وأضافت الحكيمات زيتاً إلى مصابيحهن. واكتشفت الجاهلات انتهاء زيت مصابيحهنَّ، فحاولن استعارة زيت من الحكيمات، فاعتذرن لأن ما معهنَّ لا يكفي إلا لهنَّ. فذهبت العذارى الخمس إلى الباعة لشراء مزيد من الزيت، فتأخرّن. ووصل موكب العروسين إلى بيت العريس وأُغلق الباب. ولما وصلت العذارى الخمس متأخرات لم تكن لهنَّ فرصة الاشتراك في الاحتفال.

وقال المسيح تعليقاً على هذا المثل: «فَاسْهَرُوا إِذاً لأَنَّكُمْ لا تَعْرِفُونَ الْيَوْمَ وَلا السَّاعَةَ الَّتِي يَأْتِي فِيهَا ابْنُ الإِنْسَانِ». فلا يعرف أحدٌ موعد مجيء المسيح ثانيةً، ولكن على كل حكيمٍ أن يكون مستعداً لهذا المجيء.

كان علماء الدين اليهود يقولون إن لكل يهودي الحق أن يترك درس الشريعة ليشترك في مباهج احتفال عرس، وهناك مَثَل عبري يقول: «على كل يهودي من عمر ست سنين إلى عمر ستين سنة أن يجري وراء الاحتفال بالعرس». وكانت العادة في يوم العرس أن تنتظر العروسُ عريسَها في بيتها مع صديقاتها، وعددهن عشر على الأقل. ويجيء العريس مع أصدقائه إلى بيت العروس في وقت غير محدَّد ليأخذها إلى بيته ومعها أصحابها، ويسير موكبهما أطول مدة ممكنة في شوارع القرية ليحصلا على أكبر قدر من التمنِّيات الطيبة من أهل البلد. وكان هناك قانون يمنع السير ليلاً لمن لا يمتلك مصباحاً منيراً، كما كان قانونٌ آخر يمنع دخول أي شخص مهما كان مقامه إلى بيت العريس بعد دخول موكب العروسين إليه مع أصحابهما فيُغلق الباب. وكل مستعد ساهر يتمتع بالاحتفال، وكل جاهل غافل يحرم نفسه منه.

ونتعلم من مثل العذارى الحكيمات والجاهلات عدة دروس:

أولاً – أفراح ملكوت الله

الحياة مع الله احتفالات فرح روحي.. جاء يوحنا المعمدان «لا يَأْكُلُ وَلا يَشْرَبُ» بمعنى أنه كان ناسكاً متقشِّفاً معتزلاً في الصحراء يقول: «أَنَا صَوْتُ صَارِخٍ فِي الْبَرِّيَّةِ: قَوِّمُوا طَرِيقَ الرَّبِّ» (يوحنا 1: 23). أما المسيح فقد عاش وسط الناس، وشاركهم أفراحهم وتحنَّن عليهم، وكان يقبل الخطاة ويأكل معهم، فقيل عنه إنه «أَكُولٌ وَشِرِّيبُ خَمْرٍ مُحِبٌّ لِلْعَشَّارِينَ وَالْخُطَاةِ» (متى 11: 18، 19). وهو هنا يشبِّه ملكوته بحفل عرس، فالحياة المسيحية حياة بهجة دائمة، وفرح لا يُنطَق به ومجيد.

1- إنه ملكوت القبول:

هو دعوة حُبِّية موجَّهة للجميع ليتمتعوا باحتفالات بهيجة مستمرة بالرب، تشبه الاحتفال بالعرس وبدء بيت جديد، كما وصف كاتب الرؤيا السماء بأنها «أُورُشَلِيمَ الْجَدِيدَةَ.. مُهَيَّأَةً كَعَرُوسٍ مُزَيَّنَةٍ لِرَجُلِهَا» (رؤيا 21: 2). وكل من يقبل دعوة الرب يقبله الرب، ويضمُّه إلى ملكوت أفراحه، ويغفر جميع ذنوبه، فيبارك الرب ويشكره (مزمور 103: 3). وكل مَن يقبل دعوة المسيح وخلاصه يختبر فرح الغفران، فيُنشِد:

ما أبهـــــج اليوم الذي آمنتُ فيه بالمـــسيح
أضحى سروري كاملاً ورنَّ صوتي بالمديح
حُبّي لفاديَّ المجيـــــــــــــد يوماً فيوماً سيزيـــد
عمرٌ جديد. يومٌ سعيد يوم اختصاصي بالوحيد

الإحساس بالذنب يطحن الإنسان فتيبس عظامه، لكن خبر الغفران المفرح يُسمِّنها (أمثال 15: 30)، «فَتَرَوْنَ وَتَفْرَحُ قُلُوبُكُمْ وَتَزْهُو عِظَامُكُمْ كَالْعُشْبِ وَتُعْرَفُ يَدُ الرَّبِّ عِنْدَ عَبِيدِهِ» (إشعياء 66: 14)، لأنه «إِنِ اعْتَرَفْنَا بِخَطَايَانَا فَهُوَ أَمِينٌ وَعَادِلٌ، حَتَّى يَغْفِرَ لَنَا خَطَايَانَا وَيُطَهِّرَنَا مِنْ كُلِّ إِثْمٍ» (1يوحنا 1: 9) فيفرح الخاطئ الذي قبلته نعمة المسيح، وتفرح الملائكة والجار والصديق، وكل نفسٍ سالكة في الحق والطريق، ويفرح الآب السماوي بابنه رب الفدا!.. تصوَّر معي كم سيكون فرح عائلة وجيران خاطئ تاب فنال سعادة الغفران ومباهج الحياة الإيمانية الصحيحة.. الأب القاسي سيصبح رقيقاً، والزوج الخشن سيصير مُحبّاً، والجار المشاكس سيتغيَّر إلى صانع سلام، لأنه «إِنْ كَانَ أَحَدٌ فِي الْمَسِيحِ فَهُوَ خَلِيقَةٌ جَدِيدَةٌ. الأَشْيَاءُ الْعَتِيقَةُ قَدْ مَضَتْ. هُوَذَا الْكُلُّ قَدْ صَارَ جَدِيداً» (2كورنثوس 5: 17).

2 – إنه ملكوت أُنس بالله:

فهو احتفال الأصحاب بالمناسبة السعيدة وبالصُّحبة المفرحة، كما قال المسيح: «سَأَرَاكُمْ أَيْضاً فَتَفْرَحُ قُلُوبُكُمْ، وَلا يَنْزِعُ أَحَدٌ فَرَحَكُمْ مِنْكُمْ.. اُطْلُبُوا تَأْخُذُوا، لِيَكُونَ فَرَحُكُمْ كَامِلاً» (يوحنا 16: 22، 24).. في ملكوت الله يسير المؤمن كل اليوم مع أبيه السماوي، ويتأكد من صدق الوعد «أَنَا مَعَكُمْ كُلَّ الأَيَّامِ إِلَى انْقِضَاءِ الدَّهْرِ» (متى 28: 20). وهذا الاحتفال نصيب كل من فرح بغفران خطايا الماضي، وأصبح حاضره استمتاعاً دائماً بالرب، لأنه يقوم بخدمة المسيح الذي يقول: «مَنْ يُؤْمِنُ بِي فَالأَعْمَالُ الَّتِي أَنَا أَعْمَلُهَا يَعْمَلُهَا هُوَ أَيْضاً، وَيَعْمَلُ أَعْظَمَ مِنْهَا» (يوحنا 14: 12). وهذا الأُنس بمحضر الرب والاستمتاع به يقود إلى ثبوت فرح المسيح الكامل في المؤمن (يوحنا 15: 11).. وفرح المؤمن بالأُنس بربِّه يبدأ بدخوله إلى ملكوت الله ولا ينتهي أبداً، لأنه يبدأ هنا على الأرض ليستمرَّ في السماء بلا نهاية.

3 – إنه ملكوت النور:

فلا بد أن العذارى يحملن مصابيحهن المضيئة التي تقشع ظلام الليل وتبدد كل خوف وتُظهِر كل حق. قال المسيح: «أَنَا هُوَ نُورُ الْعَالَمِ. مَنْ يَتْبَعْنِي فَلا يَمْشِي فِي الظُّلْمَةِ بَلْ يَكُونُ لَهُ نُورُ الْحَيَاةِ» (يوحنا 8: 12). وصاحب نور الحياة الذي استنار بالمسيح يمسك مصباحه لينير لنفسه ولغيره، فإنهم «لا يُوقِدُونَ سِرَاجاً وَيَضَعُونَهُ تَحْتَ الْمِكْيَالِ، بَلْ عَلَى الْمَنَارَةِ فَيُضِيءُ لِجَمِيعِ الَّذِينَ فِي الْبَيْتِ. فَلْيُضِئْ نُورُكُمْ هَكَذَا قُدَّامَ النَّاسِ، لِكَيْ يَرَوْا أَعْمَالَكُمُ الْحَسَنَةَ، وَيُمَجِّدُوا أَبَاكُمُ الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ» (متى 5: 15، 16). وتعلن مصابيحنا المضيئة الممتلئة بزيت النعمة أننا ساهرون مستعدون لمجيء العريس. «لِتَكُنْ أَحْقَاؤُكُمْ مُمَنْطَقَةً وَسُرُجُكُمْ مُوقَدَةً» (لوقا 12: 35) «لِكَيْ تَكُونُوا بِلا لَوْمٍ، وَبُسَطَاءَ، أَوْلاداً لِلَّهِ بِلا عَيْبٍ فِي وَسَطِ جِيلٍ مُعَوَّجٍ وَمُلْتَوٍ، تُضِيئُونَ بَيْنَهُمْ كَأَنْوَارٍ فِي الْعَالَمِ. مُتَمَسِّكِينَ بِكَلِمَةِ الْحَيَاةِ» (فيلبي 2: 15، 16). وخيرٌ للعينين أن تنظرا الشمس، كما قال سليمان الحكيم (جامعة 11: 7).

ثانياً – المسيح آت ثانيةً

كانت العذارى العشر ينتظرن مجيء العريس، ولكنهن لم يكنَّ كلهن مستعدات. فلما تأخَّر موكب العريس «نَعِسْنَ جَمِيعُهُنَّ وَنِمْنَ» ولم تتمكن من حضور حفل العرس إلا خمسٌ منهنَّ!

كان اليهود (ولا يزالون) يتوقَّعون مجيء المسيح مخلصاً سياسياً، يعيد لهم أمجاد مملكة سليمان. وعندما جاء كان أكثرهم غير مستعدين.

واليوم نعلم كلنا أن المسيح آت ثانيةً، ونرجو أن لا يكون حالنا كحال اليهود الذين كان أغلبهم غير مستعدين، لأن المسيح أوصانا: «اسْهَرُوا إِذاً لأَنَّكُمْ لا تَعْلَمُونَ فِي أَيَّةِ سَاعَةٍ يَأْتِي رَبُّكُمْ.. كُونُوا أَنْتُمْ أَيْضاً مُسْتَعِدِّينَ، لأَنَّهُ فِي سَاعَةٍ لا تَظُنُّونَ يَأْتِي ابْنُ الإِنْسَانِ» (متى 24: 42، 44).. «اسْهَرُوا إِذاً لأَنَّكُمْ لا تَعْرِفُونَ الْيَوْمَ وَلا السَّاعَةَ الَّتِي يَأْتِي فِيهَا ابْنُ الإِنْسَانِ» (متى 25: 13).. وأوصانا الرسول بطرس: «لا يَتَبَاطَأُ الرَّبُّ عَنْ وَعْدِهِ كَمَا يَحْسِبُ قَوْمٌ التَّبَاطُؤَ، لَكِنَّهُ يَتَأَنَّى عَلَيْنَا، وَهُوَ لا يَشَاءُ أَنْ يَهْلِكَ أُنَاسٌ، بَلْ أَنْ يُقْبِلَ الْجَمِيعُ إِلَى التَّوْبَةِ. وَلَكِنْ سَيَأْتِي كَلِصٍّ فِي اللَّيْلِ، يَوْمُ الرَّبِّ، الَّذِي فِيهِ تَزُولُ السَّمَاوَاتُ بِضَجِيجٍ، وَتَنْحَلُّ الْعَنَاصِرُ مُحْتَرِقَةً، وَتَحْتَرِقُ الأَرْضُ وَالْمَصْنُوعَاتُ الَّتِي فِيهَا» (2بطرس 3: 9، 10).

انتظر تلاميذ المسيح مجيئه ثانيةً أثناء حياتهم، وأدّوا مهمَّتهم العظيمة التي كلَّفهم بها، لأنه وعدهم: «سَتَنَالُونَ قُوَّةً مَتَى حَلَّ الرُّوحُ الْقُدُسُ عَلَيْكُمْ، وَتَكُونُونَ لِي شُهُوداً فِي أُورُشَلِيمَ وَفِي كُلِّ الْيَهُودِيَّةِ وَالسَّامِرَةِ وَإِلَى أَقْصَى الأَرْضِ.. وَلَمَّا قَالَ هَذَا ارْتَفَعَ وَهُمْ يَنْظُرُونَ، وَأَخَذَتْهُ سَحَابَةٌ عَنْ أَعْيُنِهِمْ. وَفِيمَا كَانُوا يَشْخَصُونَ إِلَى السَّمَاءِ

وَهُوَ مُنْطَلِقٌ، إِذَا رَجُلانِ قَدْ وَقَفَا بِهِمْ بِلِبَاسٍ أَبْيَضَ وَقَالا: «أَيُّهَا الرِّجَالُ الْجَلِيلِيُّونَ، مَا بَالُكُمْ وَاقِفِينَ تَنْظُرُونَ إِلَى السَّمَاءِ؟ إِنَّ يَسُوعَ هَذَا الَّذِي ارْتَفَعَ عَنْكُمْ إِلَى السَّمَاءِ سَيَأْتِي هَكَذَا كَمَا رَأَيْتُمُوهُ مُنْطَلِقاً إِلَى السَّمَاءِ» (أعمال 1: 8-11).

علينا أن نتوقَّع مجيء المسيح ثانيةً في كل لحظة، لأن الرائي يقول: «هُوَذَا يَأْتِي مَعَ السَّحَابِ، وَسَتَنْظُرُهُ كُلُّ عَيْنٍ، وَالَّذِينَ طَعَنُوهُ، وَيَنُوحُ عَلَيْهِ جَمِيعُ قَبَائِلِ الأَرْضِ» (رؤيا 1: 7).. سينوح البعض بدموع الفرح لأنهم مستعدون لمجيئه كما كانت العذارى الحكيمات. وسينوح البعض الآخر حزناً لأنهم غير مستعدين كالعذارى الجاهلات.. وما أعظم مكافأة المستعدين لمجيئه ثانية، فإن «الْمُسْتَعِدَّاتِ دَخَلْنَ مَعَهُ إِلَى الْعُرْسِ» وتمتَّعن ببهاء الوجود معه. فطوبى للساهر وقت مجيء المسيح، فإنه يُدخله الحفل ويقول له: «نِعِمَّا (اختصار: نِعْم ما فعلت، بمعنى: أحسنْتَ) أَيُّهَا الْعَبْدُ الصَّالِحُ وَالأَمِينُ. كُنْتَ أَمِيناً فِي الْقَلِيلِ فَأُقِيمُكَ عَلَى الْكَثِيرِ. اُدْخُلْ إِلَى فَرَحِ سَيِّدِكَ» (متى 25: 21).

دعونا نفحص أنفسنا ونمتحنها. هل نحن مستعدون لمجيء المسيح ثانيةً؟.. كان هناك تشابه ظاهري بين الحكيمات والجاهلات، فكلهن معهن مصابيح. لكن الفرق عميق وداخلي، ولا يظهر إلا في وقت الامتحان.

يرمز المصباح إلى عمل الإنسان وشهادته للرب، ويرمز الزيت إلى الروح القدس. فلنسأل أنفسنا: هل نحن مولودون من الله؟ هل نحن شبعانون من نعمته؟ هل امتلأنا بروحه؟ لا يجب أن نغترَّ بمظاهر العبادة الخارجية، فهناك تشابه ظاهري بين الحكيم الذي بنى على الصخر والجاهل الذي بنى على الرمل، ولكن الفرق ظهر يوم الامتحان (متى 7: 24-27) وفي يوم الامتحان يُكرَم المرء أو يُهان!

ثالثاً – حاضرنا يحدِّد مستقبلنا

يحدِّد حاضرُنا مستقبلَنا. وقد كشفت صرخة نصف الليل: «هُوَذَا الْعَرِيسُ مُقْبِلٌ، فَاخْرُجْنَ لِلِقَائِهِ» ما عند كل واحدة من العذارى. وستكشف الصرخة نفسها ما بناه كل واحد منا في الأيام التي تسبق مجيء المسيح ثانيةً. وقتها سنكتشف ثلاثة أمور:

1 – هناك أشياء لا يمكن أن نؤجِّل الحصول عليها إلى اللحظات الأخيرة:

لم تستطع الجاهلات الحصول على مزيد من الزيت في اللحظات الأخيرة. فاحصل الآن على نعمة الله المخلِّصة، واستمع إلى صوت الله الذي ينبِّهك إلى هذا بطرق متنوِّعة. قد يربت على كتفك بحنان، وقد يضربك بعصا تأديبه. إنه يحذرك بصوت منخفض خفيف أحياناً، وقد يحدثك بالرعد. «قَدْ تَنَاهَى اللَّيْلُ وَتَقَارَبَ النَّهَارُ، فَلْنَخْلَعْ أَعْمَالَ الظُّلْمَةِ وَنَلْبَسْ أَسْلِحَةَ النُّورِ» (رومية 13: 12).

وعظ نوحٌ قومه مدة مئة وعشرين سنة، وكانت كل دقَّة مسمار في الفُلك دعوةً لمعاصريه ليتوبوا عن شر أفعالهم.. وقبل الطوفان مباشرةً دخل الفُلك كل من صدَّقوا دعوة نوح، أما المستهزئون الذين طالما ضحكوا عليه فقد رفضوا الدخول، لأنه لم يسبق لهم أن رأوا أحداً يبني سفينة على اليابسة، ولا سمعوا في كل التاريخ السابق بحدوث طوفان مثل الطوفان الذي يهدِّدهم نوحٌ به. وأغلق الله باب فلك نوح، وجاء الطوفان، وحدَّد حاضرُ الناجين والمستهزئين مستقبلَهم. فالذين دخلوا نجوا، والذين رفضوا الدخول غرقوا.. ولا بد أن بعضهم حاول أن يدخل الفلك بعد أن رأى الخطر، ولكن الفرصة كانت قد ضاعت. والمسيح هو فُلك نجاتنا، الذي إن احتمينا بكفارته الكريمة ننجو بفضل ذبحه العظيم.

2 – هناك أشياء لا نقدر أن نستعيرها من غيرنا:

لا يأكل شخصٌ آخر أو يشرب لك بدلاً منك، بل عليك أنت أن تشرب من الماء الحي لنفسك، وأن تأكل من خبز الحياة لتشبع أنت. يمكن أن يكون أبوك قد بنى كنيسة، ولكن هذا لا يعني أنك ستدخل السماء. فيمكن أن تولد في بيتٍ تقي لكن هذا لا يجعل منك ابناً لله، فإن البنوية لله مسألة فردية، وعلاقتك بالرب أمرٌ شخصي.

3 – هناك أشياء لا نحصل عليها إلا من مصدرها الصحيح:

فمن المسيح وحده تأخذ زيت نعمتك، وليس من عند إخوتك المؤمنين، لأنه لا يوجد من يعطي «الزيت» إلا الذي أرسل الروح القدس ليحل على تلاميذه، بحسب وعده: «أَطْلُبُ مِنَ الآب فَيُعْطِيكُمْ مُعَزِّياً آخَرَ لِيَمْكُثَ مَعَكُمْ إِلَى الأَبَدِ، رُوحُ الْحَقِّ الَّذِي لا يَسْتَطِيعُ الْعَالَمُ أَنْ يَقْبَلَهُ، لأَنَّهُ لا يَرَاهُ وَلا يَعْرِفُهُ، وَأَمَّا أَنْتُمْ فَتَعْرِفُونَهُ لأَنَّهُ مَاكِثٌ مَعَكُمْ وَيَكُونُ فِيكُمْ» (يوحنا 14: 16، 17). فلنأتِ إلى المسيح لنحصل منه على زيت النعمة.

يشبه ملكوت الله حفل عرس، يدعوك الله إليه. فهل تحب أن تحتفل اليوم بخلاص نفسك؟ هل تحب أن تنال غفران خطاياك؟ هل تحب أن يُكتب اسمك في سفر الحياة لأنك تنتمي للمسيح؟.. يمكنك اليوم أن تحصل على زيت النعمة، لأن عند الرب كفايتك من كل شيء، وهو يمنحك الكل مجاناً، وبسخاء، ولا يعيِّر (يعقوب 1: 5).. سيعطيك إن كنت تقول له: الآن أفتح قلبي لك يا سيدي، فادخُل فيه واملك على حياتي لتجعل مني إنساناً حكيماً مستعداً لكل عمل صالح.

سؤالان

1 – لماذا يشبه ملكوت الله حفل عرس؟

2 – اذكر بعض الأشياء التي لا يمكن أن تحصل عليها في اللحظة الأخيرة.

8- امتياز المجازاة

(جـــ) المجازاة للعاملين

مثل الوزنات

«14 «وَكَأَنَّمَا إِنْسَانٌ مُسَافِرٌ دَعَا عَبِيدَهُ وَسَلَّمَهُمْ أَمْوَالَهُ، 15 فَأَعْطَى وَاحِداً خَمْسَ وَزَنَات، وَآخَرَ وَزْنَتَيْنِ، وَآخَرَ وَزْنَةً كُلَّ وَاحِدٍ عَلَى قَدْرِ طَاقَتِهِ. وَسَافَرَ لِلْوَقْتِ. 16 فَمَضَى الَّذِي أَخَذَ الْخَمْسَ وَزَنَات وَتَاجَرَ بِهَا، فَرَبِحَ خَمْسَ وَزَنَات أُخَرَ. 17 وَهكَذَا الَّذِي أَخَذَ الْوَزْنَتَيْنِ، رَبِحَ أَيْضاً وَزْنَتَيْنِ أُخْرَيَيْنِ. 18 وَأَمَّا الَّذِي أَخَذَ الْوَزْنَةَ فَمَضَى وَحَفَرَ فِي الأَرْضِ وَأَخْفَى فِضَّةَ سَيِّدِهِ. 19 وَبَعْدَ زَمَانٍ طَوِيلٍ أَتَى سَيِّدُ أُولئِكَ الْعَبِيدِ وَحَاسَبَهُمْ. 20 فَجَاءَ الَّذِي أَخَذَ الْخَمْسَ وَزَنَات وَقَدَّمَ خَمْسَ وَزَنَات أُخَرَ قَائِلاً: يَا سَيِّدُ، خَمْسَ وَزَنَات سَلَّمْتَنِي. هُوَذَا خَمْسُ وَزَنَات أُخَرُ رَبِحْتُهَا فَوْقَهَا. 21 فَقَالَ لَهُ سَيِّدُهُ: نِعِمَّا أَيُّهَا الْعَبْدُ الصَّالِحُ وَالأَمِينُ. كُنْتَ أَميناً فِي الْقَلِيلِ فَأُقِيمُكَ عَلَى الْكَثِيرِ. اُدْخُلْ إِلَى فَرَحِ سَيِّدِكَ. 22 ثُمَّ جَاءَ الَّذِي أَخَذَ الْوَزْنَتَيْنِ وَقَالَ: يَا سَيِّدُ، وَزْنَتَيْنِ سَلَّمْتَنِي. هُوَذَا وَزْنَتَانِ أُخْرَيَانِ رَبِحْتُهُمَا فَوْقَهُمَا. 23 قَالَ لَهُ سَيِّدُهُ: نِعِمَّا أَيُّهَا الْعَبْدُ الصَّالِحُ الأَمِينُ. كُنْتَ أَميناً فِي الْقَلِيلِ فَأُقِيمُكَ عَلَى الْكَثِيرِ. اُدْخُلْ إِلَى فَرَحِ سَيِّدِكَ. 24 ثُمَّ جَاءَ أَيْضاً الَّذِي أَخَذَ الْوَزْنَةَ الْوَاحِدَةَ وَقَالَ: يَا سَيِّدُ، عَرَفْتُ أَنَّكَ إِنْسَانٌ قَاسٍ، تَحْصُدُ حَيْثُ لَمْ تَزْرَعْ وَتَجْمَعُ مِنْ حَيْثُ لَمْ تَبْذُرْ. 25 فَخِفْتُ وَمَضَيْتُ وَأَخْفَيْتُ وَزْنَتَكَ فِي الأَرْضِ. هُوَذَا الَّذِي لَكَ. 26 فَأَجَابَ سَيِّدُهُ: أَيُّهَا الْعَبْدُ الشِّرِّيرُ وَالْكَسْلاَنُ، عَرَفْتَ أَنِّي أَحْصُدُ حَيْثُ لَمْ أَزْرَعْ، وَأَجْمَعُ مِنْ حَيْثُ لَمْ أَبْذُرْ، 27 فَكَانَ يَنْبَغِي أَنْ تَضَعَ فِضَّتِي عِنْدَ الصَّيَارِفَةِ، فَعِنْدَ مَجِيئِي كُنْتُ آخُذُ الَّذِي لِي مَعَ رِباً. 28 فَخُذُوا مِنْهُ الْوَزْنَةَ وَأَعْطُوهَا لِلَّذِي لَهُ الْعَشْرُ وَزَنَات. 29 لأَنَّ كُلَّ مَنْ لَهُ يُعْطَى فَيَزْدَادُ، وَمَنْ لَيْسَ لَهُ فَالَّذِي عِنْدَهُ يُؤْخَذُ مِنْهُ. 30 وَالْعَبْدُ الْبَطَّالُ اطْرَحُوهُ إِلَى الظُّلْمَةِ الْخَارِجِيَّةِ، هُنَاكَ يَكُونُ الْبُكَاءُ وَصَرِيرُ الأَسْنَانِ» (متى 25: 14-30).

مناسبة رواية المثل:

هذا هو المثَل الثاني الذي رواه المسيح تعليقاً على سؤال التلاميذ: «مَا هِيَ عَلاَمَةُ مَجِيئِكَ وَانْقِضَاءِ الدَّهْرِ؟» (متى 24: 3). وقد تأملنا أول المثَلين (مثل العذارى الحكيمات والجاهلات) الذي علَّمنا ضرورة الاستعداد لمجيء المسيح ثانيةً. ونتأمل الآن ثاني المثَلين الذي يعلِّمنا ضرورة الاجتهاد في خدمة الرب إلى أن يجيء، طاعةً لقول الحكيم: «كُلُّ مَا تَجِدُهُ يَدُكَ لِتَفْعَلَهُ فَافْعَلْهُ بِقُوَّتِكَ» (جامعة 9: 10)، ولقول الرسول: «كُونُوا رَاسِخِينَ، غَيْرَ مُتَزَعْزِعِينَ، مُكْثِرِينَ فِي عَمَلِ الرَّبِّ كُلَّ حِينٍ، عَالِمِينَ أَنَّ تَعَبَكُمْ لَيْسَ بَاطِلاً فِي الرَّبِّ» (1 كورنثوس 15: 58).

وقد أعطانا المسيح مسؤولية الكرازة للعالم. ويقول تقليد قديم إن المسيح عندما صعد إلى السماء بعد صلبه وقيامته، اجتمع حوله الملائكة وسألوه إن كان كل الخطاة قد تابوا، وإن كان كل المرضى قد نالوا الشفاء، فقال: «لقد تركتُ المسؤولية لتلاميذي، وأعطيتُهم كل ما يمكِّنهم من أداء المهمَّة». لذلك يأمرنا الوحي: «لِيَكُنْ كُلُّ وَاحِدٍ بِحَسَبِ مَا أَخَذَ مَوْهِبَةً يَخْدِمُ بِهَا بَعْضُكُمْ بَعْضاً، كَوُكَلاَءَ صَالِحِينَ عَلَى نِعْمَةِ اللهِ الْمُتَنَوِّعَةِ» (1بطرس 4: 10).. وأنت مسؤول أن تعمل وتربح.

يقول هذا المثل إن رجل أعمال عزم على السفر، فاستدعى عبيده وأعطاهم وزنات ليتاجروا بها، فأعطى الأول خمس وزنات، وأعطى الثاني وزنتين، وأعطى الثالث وزنة واحدة (الوزنة أجر عامل مدة عشر

سنوات).. وكان رجل الأعمال منصفاً في ما فعل، لأنه أعطى «كُلَّ وَاحِدٍ عَلَى قَدْرِ طَاقَتِهِ». وظهر حكمه السليم على رجاله يوم رجع ليحاسبهم، فالذي أخذ الخمس الوزنات تاجر وربح خمس وزنات أُخر، وصاحب الوزنتين ربح أيضاً وزنتين، فكان ربح كل منهما مئة بالمئة.. ولا شك أن صاحب المال كان أكثر كرماً مع العبد الثالث، فقد منحه فرصة العمل وأعطاه وزنةً واحدة، مع أنه كان لا يستحقُّ، لأنه كان خاملاً كسولاً.

بدأ المسيح المثل بالقول: «كَأَنَّمَا إِنْسَانٌ مُسَافِرٌ» لأن الله يترك المؤمنين يتصرَّفون وكأنه غائب، فقد أعطاهم حرية الإرادة والحركة. وما أحكم القول: «الله هو الضيف غير المنظور على كل مائدة، والسامع الصامت لكل حديث». فهو يرانا ويسمعنا حتى إن كنا لا نراه بعيون أجسادنا، ولا نسمعه بآذاننا الطبيعية. وقد يُخيَّل لنا أحياناً أنه ائتمننا على أشياء كثيرة ثم تركنا ولم يعُد يراقبنا، أو أنه لن يعود ليحاسبنا. ولكن الحقيقة أنه الحاضر الذي يبدو غائباً لنفعل نحن ما نريد، ولكن لا بد أن يعود ليسألنا أن نعطي حساباً عمّا فعلنا.

أولاً – كلنا وكلاء

الأرض وما عليها وكل مَن عليها ملكٌ للرب، ولكنه وكّل البشر على كل شيء، وهذا امتياز هو في الوقت نفسه مسؤولية كبرى. استأمن الرب الأبوين على أولادهما، واستأمن المعلِّم على تلاميذه، واستأمن الطبيب على مرضاه، واستأمن الغني على غناه، واستأمن الرئيس على مرؤوسيه. وسيأتي الوقت الذي فيه يطالبنا أن نقدِّم له الحساب.. وقد أراد الله أن يعلِّم هذا الدرس الهام لبني إسرائيل، فقال لهم: «الأَرْضُ لا تُبَاعُ بَتَّةً، لأَنَّ لِيَ الأَرْضَ وَأَنْتُمْ غُرَبَاءُ وَنُزَلاءُ عِنْدِي» (لاويين 25: 23)، وقال: «لِي الْفِضَّةُ وَلِي الذَّهَبُ يَقُولُ رَبُّ الْجُنُودِ» (حجي 2: 8)، وقال المرنم: «لِلرَّبِّ الأَرْضُ وَمِلْؤُهَا. الْمَسْكُونَةُ وَكُلُّ السَّاكِنِينَ فِيهَا. لأَنَّهُ عَلَى الْبِحَارِ أَسَّسَهَا، وَعَلَى الأَنْهَارِ ثَبَّتَهَا» (مزمور 24: 1، 2). ويقول الوكيل الحكيم: «إِنْ عِشْنَا فَلِلرَّبِّ نَعِيشُ، وَإِنْ مُتْنَا فَلِلرَّبِّ نَمُوتُ. فَإِنْ عِشْنَا وَإِنْ مُتْنَا فَلِلرَّبِّ نَحْنُ» (رومية 14: 8).

يملك السيد الوزنات كلها، وقد استأمن رجاله الثلاثة على استخدامها، ويمكنه أن يقول لكل منهم: «أَيُّ شَيْءٍ لَكَ لَمْ تَأْخُذْهُ؟» (1كورنثوس 4: 7).. ومع أنه كان يعلم أن العبد الثالث كسول ومتذمر، إلا أنه أعطاه وزنةً، فإن الله «يُشْرِقُ شَمْسَهُ عَلَى الأَشْرَارِ وَالصَّالِحِينَ، وَيُمْطِرُ عَلَى الأَبْرَارِ وَالظَّالِمِينَ» (متى 5: 45). فكل الناس وكلاء السيد، وهو يحبهم جميعاً، ويعطيهم كلَّهم، ويمنحهم فرصة إثبات أمانتهم، وينتظر منهم أن يكونوا سامعين عاملين بالكلمة (يعقوب 1: 22)، وأن يكون إيمانهم عاملاً بالمحبة (غلاطية 5: 6). ويقول الرسول بولس: «فَلْيَحْسِبْنَا الإِنْسَانُ كَخُدَّامِ الْمَسِيحِ وَوُكَلاءِ سَرَائِرِ اللهِ، ثُمَّ يُسْأَلُ فِي الْوُكَلاءِ لِكَيْ يُوجَدَ الإِنْسَانُ أَمِيناً» (1كورنثوس 4: 1، 2). ولا يضع الله مسؤولية على أحدٍ تفوق قدراته، ولا يترك أحداً بدون امتياز ومسؤولية.

ومع أننا جميعاً متساوون في محبة الرب لنا، إلا أننا لسنا متساوين في نوعية الفُرص الممنوحة لنا، لأننا مختلفون في الإمكانيات ومتنوِّعون في القدرات، فعند بعض الناس خمس وزنات، ولكن الله لا يحتقر صاحب الوزنة الواحدة، فقد أعطاه وسيطالبه بقدر ما أعطاه، ويقول لهم جميعاً: أنتم وكلائي.

وقد أعطانا الله مواهب طبيعية، فمنحنا الحياة والجسد وما يطعم الجسد ويكسوه، وأعطانا الماء والهواء، ومنحنا العمر والوقت، وفي كل صباح جديد يهبنا أربعاً وعشرين ساعة. وقد أكرمنا بأن وُلدنا في عائلات علَّمتنا الأخلاقيات الأساسية التي رُبينا عليها منذ صغرنا، وأعطانا وطناً ونظاماً سياسياً يهتم بالتعليم والقضاء ويوفر لنا الأمن. كما أنه وهبنا نعمة العقل الذي يميِّزنا عن سائر مخلوقاته، ومنحنا فُرص العمل، «وَهُوَ يَفْعَلُ

خَيْراً، يُعْطِينَا مِنَ السَّمَاءِ أَمْطَاراً وَأَزْمِنَةً مُثْمِرَةً، وَيَمْلأُ قُلُوبَنَا طَعَاماً وَسُرُوراً.. لأَنَّنَا بِهِ نَحْيَا وَنَتَحَرَّكُ وَنُوجَدُ» (أعمال 14: 17 و17: 28).

ومنحنا مواهب روحية فوق طبيعية، فإنه «لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنَّا أُعْطِيَتِ النِّعْمَةُ حَسَبَ قِيَاسِ هِبَةِ الْمَسِيحِ. لِذَلِكَ يَقُولُ: «إِذْ صَعِدَ إِلَى الْعَلاءِ سَبَى سَبْياً وَأَعْطَى النَّاسَ عَطَايَا» (أفسس 4: 7، 8). «قَاسِماً (الروح القدس) لِكُلِّ وَاحِدٍ بِمُفْرَدِهِ، كَمَا يَشَاءُ» (1كورنثوس 12: 11). «وَلَكِنْ لَنَا مَوَاهِبُ مُخْتَلِفَةٌ بِحَسَبِ النِّعْمَةِ الْمُعْطَاةِ لَنَا: أَنُبُوَّةٌ فَبِالنِّسْبَةِ إِلَى الإِيمَانِ (والنبوَّة هي إعلان الحقائق الروحية لبنيان الكنيسة وتوضيح الواجبات والأمور القادمة)، أَمْ خِدْمَةٌ فَفِي الْخِدْمَةِ (وهي عمل الشمامسة الذين أشرفوا على إطعام المساكين)، أَمِ الْمُعَلِّمُ فَفِي التَّعْلِيمِ (مثل التعليم في مدرسة الأحد، لإقناع العقول)، أَمِ الْوَاعِظُ فَفِي الْوَعْظِ (لتشجيع القلوب)، الْمُعْطِي فَبِسَخَاءٍ، الْمُدَبِّرُ (مدير الأعمال) فَبِاجْتِهَادٍ» (رومية 12: 6–8).

ولا يهتم الله بكمية إنتاج وكلائه، بل بنيَّتهم وأمانتهم ومشاعرهم من نحوه. وهذا ما يظهر من أن المدح الذي ناله مَن ربح الوزنتين هو نفس المدح الذي ناله مَن ربح الخمس وزنات، فقد قال لهما كليهما: «نِعِمَّا (اختصار: نِعْم ما فعلت، بمعنى: أحسنْتَ) أَيُّهَا الْعَبْدُ الصَّالِحُ وَالأَمِينُ. كُنْتَ أَمِيناً فِي الْقَلِيلِ فَأُقِيمُكَ عَلَى الْكَثِيرِ. اُدْخُلْ إِلَى فَرَحِ سَيِّدِكَ» (متى 25: 21، 23). لم يقُل له «أيها العبد الصالح والمجتهد» ولا «الصالح الناجح» بل «الصالح والأمين»، فالأمانة هي أهم ما يبحث عنه السيد.

وقد يحتقر صاحب الوزنة الواحدة نفسه، لكن المسيح لم يحتقر الأشياء الصغيرة أبداً، حتى أنه قال: «مَنْ سَقَى أَحَدَ هَؤُلاءِ الصِّغَارِ كَأْسَ مَاءٍ بَارِدٍ فَقَطْ بِاسْمِ تِلْمِيذٍ، فَالْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ إِنَّهُ لا يُضِيعُ أَجْرَهُ» (متى 10: 42)، وأعلن أن ورثة الملكوت هم الذين أطعموا جائعاً وسقوا عطشاناً وآووا غريباً وكسوا عارياً وزاروا مريضاً أو سجيناً (متى 25: 34–36). وعندما جلس المسيح تُجاه صندوق العطاء يراقب المتبرِّعين، لم يهتم بكم أعطوا، ولكن بكيف أعطوا. ومدح أرملةً فقيرة تبرَّعت بفلسين رغم ضآلتهما، وقال إنها أعطت أكثر من جميع الذين أعطوا، لأن الجميع أعطوا مما فاض عنهم، أما هي فقدَّمت كل ما عندها، رغم ضآلته (مرقس 12: 41–44).

ثانياً – العاملون

لكل عُملَة ووزنة وجهان، وجهٌ يحمل كلمة «امتياز» ويحمل الوجه الآخر كلمة «مسؤولية»، فمع كل بركة يمنحها الرب لنا ينتظر أن نستخدمها لنموِّنا الروحي، ولخير عائلاتنا وكنائسنا ومجتمعنا، فإننا قد قبلنا من الله لأجل اسم المسيح «نِعْمَةً وَرِسَالَةً» (رومية 1: 5) فالنعمة تحمِّلنا مسؤولية إعلان الرسالة. ومن الغريب أن بعض الناس يطالبون بامتيازات صاحب الخمس وزنات، ولكنهم يريدون أن يتهرَّبوا من مسؤولياته.

1 – الدوافع على العمل:

ربح صاحب الخمس وزنات خمس وزنات أُخر، وربح صاحب الوزنتين وزنتين أخريين لأنهما كانا يدركان ماذا يريد صاحب المال، وكانا متأكِّدين أن ما يريده هو الصالح والمَرْضِيُّ والكامل، ووجدت إرادته منهما الرضى والقبول، فأطاعاه. ولا بد أنهما كانا يحبان سيدهما ويريدان أن يُدخلا السعادة إلى قلبه. ثم أنهما كانا مجتهدَين في عملهما، وفرحانَين بنجاحهما فيه لمصلحة صاحب العمل ولمصلحتهما، لأنهما سينالان رضاه ومجازاته.

وواضحٌ أن تسليم الإرادة لله هو أهم ما يُنجح خدمتنا له. قال القديس أغسطينوس: «إن عملتَ مشيئة الله كأنها مشيئتك، يفعل الله مشيئتك كأنها مشيئته» لأن الذي يستسلم لله يرغب في عمل ما يرضيه، ويحبه بكامل قلبه،

ولا يريد أن يترك خدمته، فيصير عبداً مؤبَّداً يقول: «أُحِبُّ سَيِّدِي» (خروج 21: 5)، فيجتهد في خدمته بكل سعادة، ويفرح قلبه كلما زاد الثمر. والمؤمن الذي يحب الرب يكون سعيداً بأن يصف نفسه بأنه «عَبْدُ الرَّبِّ»، كما وُصِف إبراهيم (مزمور 105: 6)، وموسى (مزمور 105: 26)، وداود (مزمور 78: 70)، ودانيال (دانيال 6: 20)، وبولس (رومية 1: 1)، ويعقوب (يعقوب 1: 1)، وبطرس (2بطرس 1: 1)، وتيموثاوس (فيلبي 1: 1). و«الْعَبْدُ يُكْرِمُ سَيِّدَهُ» (ملاخي 1: 6).

2 – مكافأة العاملين:

بعد زمان طويل جاء سيد أولئك العبيد ليحاسبهم. ومهما طالت مدة غياب السيد فلا بد أن يجيء ليجازي كل واحد كما يكون عمله.. وقد كافأ السيد عبديه الأمينين، فقال لكل منهما: «نِعِمَّا أَيُّهَا الْعَبْدُ الصَّالِحُ وَالأَمِينُ. كُنْتَ أَمِيناً فِي الْقَلِيلِ فَأُقِيمُكَ عَلَى الْكَثِيرِ. اُدْخُلْ إِلَى فَرَحِ سَيِّدِكَ». وفي القول «نعمّا» تكريمٌ لهما لأنهما أحسنا الصنيع. وفي القول «كُنْتَ أَميناً» اعتراف بخدمتهما الحسنة الأمينة. وفي القول «أُقِيمُكَ عَلَى الْكَثِيرِ» ترقية لكل منهما هي تحمُّل مسؤولية أكبر ومزيداً من التكليف. وفي القول «اُدْخُلْ إِلَى فَرَحِ سَيِّدِكَ» بهجة لقلبيهما بالدخول إلى أفراح السيد، فيسمعان منه «لا أَعُودُ أُسَمِّيكُمْ عَبِيداً.. لَكِنِّي قَدْ سَمَّيْتُكُمْ أَحِبَّاءَ» (يوحنا 15: 15). «طُوبَى لأُولَئِكَ الْعَبِيدِ.. إِنَّهُ يَتَمَنْطَقُ وَيُتْكِئُهُمْ وَيَتَقَدَّمُ وَيَخْدِمُهُمْ» (لوقا 12: 37). «مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ هُمْ أَمَامَ عَرْشِ الله وَيَخْدِمُونَهُ نَهَاراً وَلَيْلاً فِي هَيْكَلِه، وَالْجَالِسُ عَلَى الْعَرْشِ يَحِلُّ فَوْقَهُمْ. لَنْ يَجُوعُوا بَعْدُ وَلَنْ يَعْطَشُوا بَعْدُ وَلا تَقَعُ عَلَيْهِمِ الشَّمْسُ وَلا شَيْءٌ مِنَ الْحَرِّ، لأَنَّ الْحَمَلَ الَّذِي فِي وَسَطِ الْعَرْشِ يَرْعَاهُمْ، وَيَقْتَادُهُمْ إِلَى يَنَابِيعِ مَاءٍ حَيَّةٍ، وَيَمْسَحُ الله كُلَّ دَمْعَةٍ مِنْ عُيُونِهِمْ» (رؤيا 7: 15–17).

ثالثاً – الخاملون

كنا نرجو أن يكون كل المؤمنين عاملين، ولكن هناك الخاملون.

1 – أسباب الخمول:

في كل عمل مخاطرة. ولم يكن صاحب الوزنة الواحدة راغباً في أن يخاطر لأنه لم يكن يملك شجاعة المحاولة، فوصفه سيده بأنه «الْعَبْدُ الشِّرِيرُ وَالْكَسْلانُ». وقد وصف إمام الحكماء سليمان هذا العبد وأمثاله بالقول: «قَالَ الْكَسْلانُ: الأَسَدُ فِي الْخَارِجِ فَأُقْتَلُ فِي الشَّوَارِعِ!» (أمثال 22: 13). ولما كان الناس يُخفون كنوزهم بدفنها في الأرض، فقد حفر العبد الكسلان الأرض وأخفى فضة سيده. وربما فعل هذا لأنه قارن نفسه بالعبدين زميليه، وحسدهما لأنهما أخذا أكثر منه.. أو ربما قال في نفسه: لماذا أُتعِب نفسي بالاتِّجار في وزنة واحدة، وسيدي لم يساوِ بيني وبين زميليَّ؟.. أو لعله لم يتوقَّع سرعة عودة سيده ليحاسبه..

ولكن السبب الأكبر لكسله هو أنه كان يحمل مشاعر سلبية من نحو سيده، فقال له: «يَا سَيِّدُ، عَرَفْتُ أَنَّكَ إِنْسَانٌ قَاسٍ، تَحْصُدُ حَيْثُ لَمْ تَزْرَعْ وَتَجْمَعُ مِنْ حَيْثُ لَمْ تَبْذُرْ». ويوضِّح قوله هذا مشاعره الشريرة من نحو سيده الذي أعطاه الوزنة وجعله وكيلاً له، واستأمنه على العمل! وهو مثل الشعب الذي أنكر الجميل وقال: «لَيْسَتْ طَرِيقُ الرَّبِّ مُسْتَوِيَةً» (حزقيال 18: 25). ولو أن مشاعر هذا العبد كانت صالحة من نحو سيده فتاجر وخسر لكان سيده أكثر سعادةً به. وهذا واضح من قول السيد له: «كَانَ يَنْبَغِي أَنْ تَضَعَ فِضَّتِي عِنْدَ الصَّيَارِفَةِ، فَعِنْدَ مَجِيئِي كُنْتُ آخُذُ الَّذِي لِي مَعَ رِباً».. وكان الصيارفة وقتها يقومون بما تقوم به البنوك اليوم، وهو أقل ما كان يمكن أن يقوم العبد به، لأنه لا يحتاج إلى فكر ولا إلى مجهود. وكانت شريعة موسى توصي اليهودي أن يعطي الأجنبي سُلفة بفوائد، ولكنها كانت تُلزمه أن يُقرِض أخاه اليهودي بغير فوائد (تثنية 23: 19). وواضحٌ من هذه الوصية أن الشريعة اليهودية تأمر اليهودي أن يرحم أخاه اليهودي فقط. ولكن المسيحية تنادي بأخويَّة

جميع البشر، وقد علَّمنا المسيح أن الله أبٌ للبشر جميعاً، فنصلي: «أَبَانَا الَّذِي فِي السَّمَاوَات» (متى 6: 9).. وقد منعت الشريعة اليهودية الربا والفوائد الفاحشة لأن المدين يكون عادةً أفقر من الدائن، لأنه يستدين ليسدِّد احتياجاته، فهو يستحق المساعدة.. أما في وقتنا الحاضر فإن الذي يودع فضته في البنوك لتستثمرها له هو الضعيف، لأنه عاجز عن استثمارها بنفسه، فيستفيد المودع، والبنك، ومن يقترض من البنك. والمديون في زمننا (البنك) هو القوي، والدائن (المودع) هو المحتاج. فلا ظلم ولا ضرر أن يدفع البنك فوائد للدائن المحتاج.. وعلى هذا فإننا نفهم قول السيد بالصورة التالية: «فَكَانَ يَنْبَغِي أَنْ تَضَعَ فِضَّتِي عِنْدَ البنوك (الصَّيَارِفَةِ)، فَعِنْدَ مَجِيئِي كُنْتُ آخُذُ الَّذِي لِي مَعَ الفوائد (رِباً)» (متى 25: 27)، لأن الصيارفة يستثمرون المال، ويشاركون المودع في الفوائد. وليس في المنفعة المتبادلة خطأ، فالاستثمار واجب، ولكن الاستغلال والفائدة المجحفة مرفوضان.

2 – عقوبة الخمول:

حلَّت بالكسلان ثلاث عقوبات قاسية:

(أ) «خُذُوا مِنْهُ الْوَزْنَةَ»: أعطاه سيده فرصة العمل والربح فلم ينتهزها، ففقدها «لأَنَّ كُلَّ مَنْ لَهُ يُعْطَى فَيَزْدَادُ» وكل من لا يستفيد مما حصل عليه يخسره، وكل من لا يتقدَّم يتأخَّر. أما «مَنْ لَيْسَ لَهُ فَالَّذِي عِنْدَهُ يُؤْخَذُ مِنْهُ» فإن من لا يستفيد مما منحه الرب له، يضيِّعه. «شَهْوَةُ الْكَسْلاَنِ تَقْتُلُهُ لأَنَّ يَدَيْهِ تَأْبَيَانِ الشُّغْلَ» (أمثال 21: 25).. «يَدُ الْمُجْتَهِدِينَ تَسُودُ، أَمَّا الرَّخْوَةُ فَتَكُونُ تَحْتَ الْجِزْيَةِ» (أمثال 12: 24).

(ب) «اطْرَحُوهُ إِلَى الظُّلْمَةِ الْخَارِجِيَّةِ»: قال لكل من العبدين الأمينين «اُدْخُلْ» ولكنه قال عن الكسلان «اطْرَحُوهُ». والصورة هنا تُظهِر بيتاً فيه احتفال ليلي، وهو عامر بالأفراح والأنوار، يُطرد منه شخصٌ إلى الظلام والوحدة والصقيع.. وأكبر عقوبة تحل بالخائن الكسلان هي حرمانه من محضر الله.

(ج) «الْبُكَاءُ وَصَرِيرُ الأَسْنَانِ»: والذي يبكي ويُصرُّ بأسنانه هو النادم الغاضب الحزين اليائس على الفرصة الضائعة التي لا يمكن أن تعود، حيث لا ينفع بكاء ولا ندم.

لقد أعطاك الرب مواهب كثيرة، فماذا فعلتَ بها؟ كأنما هو مسافر، لكنه لا بدَّ سيعود ويطالبك أن تقدِّم حساباً عما فعلت. فليعطنا الله أن نسمع منه: «نِعمّا».

سؤالان

1 – اشرح معنى قول المسيح: «كأنما إنسانٌ مسافر».

2 – ما هي البركات التي منحها السيد للعبدين الأمينين؟

مسابقة الكتاب

1 – اشرح العبارة التالية: «المحبة لله علامة على الحصول على الغفران، وليست سبباً له».

2 – اذكر أمرين تقدر أن تبرهن بهما محبتك للمسيح.

3– كيف نتخلَّص من الساكن النجس؟

4 – كيف نضمن استمرار المالك الجديد؟

5 – لماذا طالبنا المسيح بأن نحسب حساب النفقة؟

6 – ما معنى أن نتدرَّج في البناء؟

7 – ما هو الامتحان الثلاثي الذي تجوزه بيوتنا الروحية؟

8 – ماذا كان يكون تعليقك وأنت تشاهد البيتين يعلوان بسرعتين مختلفتين؟ وما هو تعليقك بعد دراسة هذا المثل؟

9 – اشرح هذه العبارة: «طريقة موت الإنسان لا تحدِّد مصيره الأبدي، بل تحدده الطريقة التي يعيش بها».

10 – علِّق على العبارة التالية: «الرحمة تمنع عنا ما نستحقه، والنعمة تمنحنا ما لا نستحقه».

11 – اذكر وجه الاختلاف ووجه الشبَه بين الله من جانب، والصَّديق وقاضي الظلم من الجانب الآخر.

12 – اذكر نموذجاً من استجابة صلاة حدثت معك.

13 – ما هي المناسبة التي روى المسيح فيها مثل العشاء العظيم؟

14 – اشرح كيف تقوم بدور العبد كما تراه في مثَل العشاء العظيم.

15 – ما هو الأجر الذي يتساوى فيه كل العاملين في كرم الرب؟

16 – اشرح العبارة التالية: «كان اللص المصلوب التائب من أصحاب الساعة الحادية عشرة».

17 – لماذا يشبه ملكوت الله حفل عرس؟

18 – اذكر بعض الأشياء التي لا يمكن أن تحصل عليها في اللحظة الأخيرة.

19 – اشرح معنى قول المسيح: «كأنما إنسانٌ مسافر».

20 – ما هي البركات التي منحها السيد للعبدين الأمينين؟